منهج الإمام السيوطي في الترجيحات من خلال كتابه التحبير في علم التفسير

إعداد

د/ الخنساء بنت قاسم شماخي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد-كلية الشريعة والقانون

جامعة جازان

منهج الإمام السيوطي في الترجيحات من خلال كتابه التحبير في علم التفسير

الخنساء بنت قاسم شماخي
قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الشريعة والقانون– جامعة جازان
البريد الإلكتروني :ashamaki@jazanu.edu.sa

الملخص :

صنف الإمام السيوطي كتاب التحبير في علم التفسير، وهو من أهم المصنفات التي تُبرز منهجه في الترجيحات، وهذا البحث يجيب عن إشكالية مؤداها: ما هو منهجه في الترجيحات؟، وما هي القواعد التي بنى عليها الإمام السيوطي منهجه فيها؟، ويهدف هذا البحث إلى بيان منهج الإمام السيوطي في الترجيحات، ومدى موافقته أو مخالفته غيره من العلماء، وذلك من خلال صيغ وقواعد الترجيح عنده، وموقفه من المسائل المختلف فيها اللازمة للترجيح أو الحيدة، وتأكد ذلك من خلال أنماط ونماذج من ترجيحاته في كتاب التحبير في علم التفسير، منها ما يتعلق بالمكي والمدني، ومنها ما يتعلق بأسباب النزول، ومنها ما يتعلق بالمبهمات، وغير ذلك من النماذج، متبعاً في ذلك المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، وعليه فقد ثبت تنوع أدلة السيوطي في ترجيح الأقوال بدلالة القرآن، أو بدلالة الحديث، أو بدلالة الأثر، أو بدلالة الإجماع، أو بدلالة اللغة، أو بدلالة السياق، أو بدلالة قول الجمهور، ونحو ذلك من الوجوه، وكذلك دعم ردوده على الأقوال المخالفة بالأحاديث والآثار، وعزوها لمصادرها، وعدم التشنيع أو التهجم على أصحاب الأقوال المخالفة، واتباع القول الذي يرجحه بالحجة والبرهان، وقليل ما يرجح بدون ذكر الدليل على ترجيحه.

الكلمات المفتاحية: منهج–السيوطي–الترجيحات–التحبير–علم التفسير

Imam Al-Suyuti's approach to weights through his book The Inking of the Science of Exegesis

Al-Khansa bint Qasim Shamakhi
Department of Interpretation and Quranic Sciences - Faculty of Sharia and Law - Jazan University
Email: ashamaki@jazanu.edu.sa

Abstract :
Imam al-Suyuti compiled the book of inking in the science of exegesis, and it is one of the most important works that highlight his approach to weightings, and this research answers the problematic of its effect: What is his approach to those weights ?, And what are the rules on which Imam al-Suyuti built his weightings? This research aims to clarify Imam al-Suyuti's approach to weights, and the extent of his approval or disagreement with other scholars, through the weighting formulas, the rules of weighting and selection he followed, and his position on the different issues in them necessary for weighting or impartiality. , Including those related to Mecca and Medina, And some of them are related to the causes of revelation, including what is related to ambiguities, and other models, following that inductive approach and analytical method, and accordingly, the diversity of the evidence of Al-Suyuti has been proven in the weighting of words in terms of the Qur'an, or the significance of the hadith, or the significance of the effect, or the significance of consensus, or In terms of language, context, or the public's statement, and so on, as well as supporting his responses to contradictory sayings with hadiths and monuments, and attributing them to their sources, and not defaming or attacking the owners of contradictory sayings, and following the saying that is preferred by argument and proof, and little is likely without mentioning Evidence of his weight.

Key Words: Method - Al-Suyuti - Weights - Inking - The Science Of Interpretation

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِــهِ وَلا تَمُــوتُنَّ إِلَّــا وَأَنْــتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِــنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّــهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَــالَكُمْ وَيَغْفِــرْ لَكُــمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من أعظم ما تفنى فيه الأعمار، وتنفق فيه الأموال، ويبــذل فــي خدمته كل غال ونفيس؛ هو تعلُّم القرآن الكريم وتعليمــه، والغــوص فــي أسراره وعجائبه التي لا تنقضي على مر الأزمنة والعصور، وهذا العلم هو أشرف العلوم، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "لما كان القرآن العزيــز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شــرف العلــم بشــرف المعلوم"(١)، وهذا هو ما بينه النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

إشكالية البحث:

من جملة مؤلفات الإمام السيوطي التي استوعبت مسائل كثيــرة فــي علوم القرآن" كتاب التحبير في علم التفسير"، ولما كان الكتاب بهذه الأهمية كان في حاجة لبيان منهج الإمام السيوطي في ترجيحاته للمسائل التي يذكرها في كتابه.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي: (٣/١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضــائل القــرآن: بــاب خيــركم مــن تعلــم القــرآن وعلمه:(٢٣٦/٦) حديث رقم (٤٧٣٩) من حديث عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه -.

أسئلة البحث: يجيب البحث عن هذه الأسئلة.

١- هل للسيوطي ترجيحات في كتابه "التحبير في علم التفسير "؟ وما هو منهجه في تلك الترجيحات؟.

٢- ما هي القواعد التي بنى عليها الإمام السيوطي ترجيحاته في كتابه التحبير في علم التفسير؟.

أهداف البحث: هذا البحث يهدف إلى الآتي:

١- بيان منهج الإمام السيوطي في الترجيحات في كتابه التحبير في علم التفسير.

٢- بيان القواعد التي بنى عليها الإمام السيوطي ترجيحاته في كتابه التحبير في علم التفسير.

أسباب اختيار الموضوع: دعتني للكتابة في هذا الموضوع جملة من الأسباب من أهمها:

١- بيان منهج الإمام السيوطي في الترجيحات من خلال كتابه التحبير في علم التفسير.

٢- بيان القواعد التي بنى عليها الإمام السيوطي ترجيحاته في كتابه التحبير في علم التفسير.

٣- خدمة كتاب مهم له منزلته الفائقة بين الكتب التي ألفت لخدمة كتاب الله تعالى.

٤- الرد على من اتهم الإمام السيوطي بأنه حاطب ليل يجمع الأقوال ويرويها دون توجيه أو اختيار، وإثبات أنه يجمع ويناقش ويرجح ويحرر وينقح ما يكتبه، وذلك من خلال ذكر نماذج من تلك الترجيحات.

أهمية الموضوع:

من جملة مؤلفات الإمام السيوطي التي استوعبت مسائل كثيرة في علم التفسير وعلوم القرآن" كتاب التحبير في علم التفسير"؛ إذ هو خلاصة المتقدمين من العلماء في التفسير وعلوم القرآن وغيرها من العلوم، مثل القراءات واللغة والحديث والبلاغة؛ فجاء شاملاً لأنواع كثيرة من علوم القرآن بما يوضح سعة علم المؤلف؛ فأردت إبراز منهجه في الترجيحات.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في المكتبات الشاملة، وعلى الشبكة العنكبوتية، لم أجد بحثًا يتفق مع فكرة هذا البحث، ولكن وجدت بحوثًا، متنوعة منها:

١- ما يتعلق بالترجيح عند الإمام السيوطي في غير كتابه "التحبير " وهما بحثان:

البحث الأول: رسالة ماجستير، بكلية الآداب، بالجامعة الإسلامية غزة، بعنوان "اختيارات السيوطي في كتاب همع الهوامع دراسة نحوية تحليلية" للباحث أحمد مصطفى عبد الرحيم العبادلة، إشراف: عبد الهادي عبد الكريم محمد برهوم، ١٤٢٧ ه – ٢٠٠٦ م.

البحث الثاني: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، بعنوان: "اختيارات السيوطي وترجيحاته في علوم القرآن جمعاً ودراسة" لباحث: علي بن عبد الرحمن النجاشي، إشراف: نبيل بن محمد آل إسماعيل، العام الجامعي ١٤٢٧-١٤٢٨هـ.

٢- بحث يتعلق بالإمام السيوطي في كتابه "التحبير" لكن في غير الترجيحات وهو بحث ماجستير بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة أم القرى بعنوان: "تحقيق ودراسة كتاب التحبير في علم التفسير" للباحث: زهير عثمان علي نور، إشراف: محمد شوقي خضر، ١٤٠٤ ه – ١٩٨٣ م.

٣- رسائل عامة في السيوطي مثل: "الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن" رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص علوم القرآن، جامعة الزيتونة بتونس، للباحث: محمد يوسف الشربجي.

وكتاب: "الإمام السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه " لمؤلفه: بديع السيد اللحام، طبعة دار قتيبة.

وهناك التحقيقات الموجودة لكتاب "التحبير في علم التفسير" وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل في مطلب "طبعات الكتاب" ولكن لم يتعرض المحققون لموضوع بحثي هذا من حيث إفراد منهج المؤلف في الترجيح من خلال كتابه "التحبير".

وكل هذه الدراسات كما ذكرت آنفا كل هذه الدراسات لا تتفق مع موضوع البحث الذي أريد أن أعالجه من خلال هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

حدود البحث:

هذا البحث خاص بكتاب "التحبير في علم التفسير" للإمام السوطي – رحمه الله تعالى – ومحدد بقضية واحدة فيه وهي منهجه في الترجيح من خلال هذا الكتاب.

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن تكون على النحو الآتي:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات، على النحو الآتي:

- **مقدمة:** وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومجالاته، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهج الباحث.
- **التمهيد:** الإمام السيوطي حياته ونشأته.
- **المبحث الأول:** في التعريف بكتاب التحبير في علم التفسير، وأهميته، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** أهميته كتاب التحبير في علم التفسير.
- **المطلب الثاني:** أسباب تأليف الإمام السيوطي كتاب التحبير في علم التفسير.
- **المطلب الثالث:** نسخ كتاب التحبير وأماكن وجودها
- **المطلب الرابع:** طبعات كتاب التحبير وتحقيقاته
- **المبحث الثاني:** منهج الإمام السيوطي في التصنيف، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** منهج الإمام السيوطي في التصنيف.
- **المطلب الثاني:** منهج الإمام السيوطي في كتابه التحبير في علم التفسير.
- **المبحث الثالث:** منهج السيوطي في الترجيحات، وفيه سبعة مطالب:
- **المطلب الأول:** تعريف الترجيح في اللغة وفي الاصطلاح.
- **المطلب الثاني:** أهمية دراسة الترجيح.
- **المطلب الثالث:** بيان متى يكون الترجيح.
- **المطلب الرابع:** الترجيح وغيره من المصطلحات.
- **المطلب الخامس:** صيغ الترجيح عند السيوطي.
- **المطلب السادس:** قواعد الترجيح والاختيار عند السيوطي.
- **المطلب السابع:** منهج السيوطي في المسائل المختلف فيها اللازمة للترجيح أو الحيدة.

- **المبحث الرابع:** أنماط ونماذج من ترجيحات الإمام السيوطي في كتاب التحبير في علم التفسير، وفيه ثلاثة مطالب:
- **المطلب الأول:** المكي والمدني.
- **المطلب الثاني:** أسباب النزول.
- **المطلب الثالث:** المبهمات.
- **خاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

منهج الباحث: سأعتمد في هذا البحث **المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي**، حيث إنني سأقوم باستقراء الكتاب للوقوف على ترجيحات الإمام السيوطي في كتابه "التحبير في علم التفسير"، ثم بعد ذلك أقوم بتحليل هذا الترجيح من خلال معرفة أدلته على ترجيحاته، ومن وافقه من العلماء ومن خالفه، ثم بيان ما أراه راجحاً من حيث قوة الدليل.

والإجراءات التي أصل من خلالها لتحقيق هذا المنهج هي:

أ- ذكر نماذج بعض الأقوال التي ذكرها السيوطي في كتابه "التحبير في علم التفسير"، ثم ذكر اختياره أو ترجيحه.

ب- دراسة اختيار السيوطي وترجيحه للمسألة دراسة تحليلية.

ت- إيضاح نتيجة الدراسة ملخصة، مع المناقشة والترجيح.

ث- توثيق المادة العلمية على النحو الآتي:

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها المعتمدة مع بيان المتواتر من الشاذ.

٣- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرها المعتمدة، والحكم عليها من خلال أقوال أهل العلم.

٤- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

٥- ترجمة لأهم الأعلام الواردة.

التمهيد: الإمام السيوطي حياته ونشأته

اسمه: هو: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر.

نسبه: الخضيري الأسيوطي.(١)

مولده ونشأته وطلبه للعلم: قال الإمام السيوطي عن نفسه: "وكان مولدي بعد المغرب، ليلة الأحد مستهل رجب، سنة تسع وأربعين وثمان مئة، وحملت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من كبار الأولياء، بجوار المشهد النفيسي فبرك عليّ، ونشأت يتيما، فحفظت القرآن ولي دون ثمان سنين، ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ(٢).

رحلاته في طلب العلم: أفاد السيوطي في كتابه حسن المحاضرة أنه رحل في طلب العلم إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب(٣)، ولم يذكر تفاصيل عن رحلاته في كتابه ذلك، غير ذكره للحج وشربه من ماء زمزم، ولعله لم يخرج من مصر إلا للحج فقط. وإنما حصل تصحيف في نسخ كتابه حسن المحاضرة؛ وإنما قصده دخلت تلك البلدان أي دخلت كتبه، ولم يذكر هو شيئاً عن تلك الرحلة، كما لم يذكر غيره ذلك في ترجمته.(٤)

---

(١) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي: ٦٥/٤، حسن المحاضرة للسيوطي: ٢٨٨/١، طبقات المفسرين للداودي: ٣٦٥، النور السافر للعيدروسي، ص:٥١، شذرات الذهب لابن العماد: ٥١/٨، البدر الطالع للشوكاني:٣٢٨/١، هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي:٢٧٨/١، فهرس الفهارس للكتاني:١٠١٠/٢، معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٨٢/٢.

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي:١٥٥/١- ١٥٧. ط مطبعة الموسوعات، مصر، و٣٣٥/١- ٣٣٧ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٧ م. وانظر في ترجمة السيوطي في: الضوء اللامع:٦٨/٤، وبدائع الزهور:٨٣/٤.

(٣) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي:٢٨٩/١.

(٤) ينظر: الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للشربجي: ١٢٧-١٣١.

مذهبه: وقد ذكرت بعض المصادر أنه كان شافعياً [١]، وقيل إنه كان شافعياً ثم انتقل إلى المذهب المالكي، ولكن الحق أنه ما مات حتى كان يجتهد ويختار[٢]، وقد صرح السيوطي بذلك في حسن المحاضرة حيث قال:" وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله؛ أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً"[٣]، ويظهر ذلك جلياً في كتابه الحاوي للفتاوى.[٤]

شيوخه وتلاميذه: الإمام السيوطي من العلماء القلائل الذين أكثروا الأخذ عن الشيوخ؛ فقد أخذ عن المفسر، والمحدث، والفقيه، واللغوي، والنحوي، والأديب، ويعزو الخوانساري كثرة شيوخه إلى: "أن قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول، فقد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول؛ بحيث ذكر بعضهم أنه أخذ عن غالب علماء عصره، وبلغ مجموع شيوخه نحو ثلاثمائة شيخ[٥].

وقد حرص السيوطي على التعريف بشيوخه فوضع فيهم ثلاثة معاجم، ومن أهم شيوخه الذين نهل منهم وتأثر بهم:

١-علم الدين البلقيني ت٨٢٤هـ.

٢- ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ.

٣- شرف الدين المناوي ت٨٧١هـ.

٤- تقي الدين الشمني ت٨٧٢هـ.

٥- محي الدين الكافيجي ت٨٧٩هـ[٦].

تلاميذه: لقد اغترف من بحر علم السيوطي عدد كبير من طلاب العلم والعلماء، وكان منهم الفقيه والمحدث والمؤرخ واللغوي وقد أسهموا إسهامات كبيرة في نشر مؤلفاته وشرحها والتعليق عليها، ومن أهم تلاميذه:

---

(١) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي:٦٥/٤ ، والنور السافر للعيدروسي:٥٤/١.

(٢) ينظر: فهرس الفهارس للكتاني: ١٠٢٠/٢.

(٣) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي: ٢٩٠/١.

(٤) ينظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي:٨٨/١.

(٥) ينظر: حسن المحاضرة :٣٣٨/١، جلال الدين السيوطي لمصطفى الشكعة، ص: ١٥- ٢٣.

(٦) ينظر: حسن المحاضرة :٣٣٨/١، جلال الدين السيوطي لمصطفى الشكعة، ص: ١٥- ٢٣.

١- الشيخ بدر الدين حسن بن علي القيمري ت٨٨٥هـ.
٢- شيخ القراء سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري ت٩٣٨هـ.
٣-الشيخ الحافظ الإمام المحدث شمس الدين محمد بن يوسف الشامي ت٩٤٢هـ.
٤- الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي المصري ت٩٤٥هـ.
٥- المؤرخ شمس الدين محمد بن علي الدمشقي ت٩٥٣هـ.

مؤلفاته:(١): تعددت مصنفات السيوطي جدا، فقد أحصى السيوطي منها في كتابه "حسن المحاضرة "نحوًا من ثلاثمائة مصّنف في التفسير وتعلقاته، والقراءات والحديث وتعلقاته، والفقه وتعلقاته، وعلوم العربية والأصول والبيان، والتصوف والتأريخ والأدب والتراجم والسير، وغيرها من الفنون والعلوم الأخرى، قال السيوطي: "وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلُته ورجعت عنه"(٢)، وقد ذكر السيوطي مؤلفاته في "التحدث بنعمة الله" وذكر من كتبه ٥٣٠ مؤلفاً (٣)

وفاته: اشتهرت حياة السيوطي بالعلم والعفة والترفع عن موائد الحكام وعطايا السلاطين، وفي سنة ٩١١هـ ودع السيوطي الدنيا بعد أن عاش فيها حياة عريضة خصبة حافلة بالنشاط والعطاء والعمل، وفارق الدنيا عن اثنين وستين عاما، وهو في أوج اكتماله العلمي وازدهاره الثقافي والاجتماعي، ويقول الغزي في وفاته: "وكان له مشهد عظيم، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة، وصلى عليه غائبة بدمشق بالجامع الأموي".(٤).

---

(١) قام الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال بجمع مؤلفات السيوطي في كتابه "مكتبة السيوطي"، وقيام الأستاذين أحمد الخازندار، ومحمد إبراهيم الشيباني بإعداد دليل لمخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، وكذلك نشر الأستاذ عبد الإله نبهان فهرسا لمؤلفات السيوطي المطبوعة واستدرك بعض الباحثين عليه، ووكل هذا كفانا مؤونة البحث، ومن ثم ففيه غنية.

(٢) حسن المحاضرة السيوطي:٣٣٨/١.

(٣) التحدث بنعمة الله: ١٠٥- ١٣٦.

(٤) الكواكب السائرة للغزي: ٢٣١/١، وينظر: قبر السيوطي وتحقيق موضعه، لأحمد تيمور، ص: ٦-٢٢.

المبحث الأول: التعريف بكتاب التحبير وأهميته

المطلب الأول: أهمية كتاب التحبير في علم التفسير

ذكر الإمام السيوطي في مقدمة كتابه "الإتقان في علوم القرآن": أن من بين مؤلفاته كتاب "التحبير في علوم التفسير"(١)، ومما يؤكد هذا ويقويه ورود اسم الكتاب في أسماء كتب السيوطي، وفي ترجمة السيوطي لصاحب الأعلام نجده قد عزا كتاب "التحبير في علم التفسير" للإمام السيوطي.(٢)

وفي هذا النقل دلالة قاطعة على صحة نسبة الكتاب لصاحبه والأمثلة في ذلك كثيرة ومتنوعة، وسبب ذكري لهذه التقدمة أن عدداً من الباحثين ينفي نسبة الكتاب لمؤلفه.

وهذا الكتاب له أهمية كبيرة في مجال الدراسات القرآنية، ومن أهمها ما يأتي:

١- كتاب "التحبير في علم التفسير " يعتبر من المراجع الأساسية المهمة والمفيدة في بابه، حيث إنه حوى العديد من مسائل العلم المختلفة، في علوم القرآن، والتفسير والحديث والقراءات واللغة والبلاغة وغيرها، وقد بذل فيه مؤلفه جهداً كبيراً، فجاء كما أراد مؤلفه شاملا لكل أنواع علوم القرآن، وتفوق فيه على من سبقه، بزوائده وإضافاته الماتعة، فضلاً عن سهولة ترتيبه، وتبويبه، وهو أساس كتابه "الإتقان" الذي يعد من أفضل ما ألف في بابه.

٢- يحتوي هذا الكتاب على العديد من المباحث التي جعلته زادا لكل مهتم بهذا العلم، ومن ثم لا يستغنى عنه بحال من الأحوال، بل هو كما قال مؤلفه يكفي من يريد تفسير القرآن الكريم، إن استوعبه وأتقن أنواعه وعلومه.(٣)

٣- هذا الكتاب أحد المؤلفات الثلاثة المهمة في علوم القرآن بعد البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٣.

(٢) ينظر: الأعلام للزركلي:٤/٧١.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٢.

وبهذا يتبين أهمية الكتاب وقيمته العلمية وإضافاته وزوائده، وتميزه عن غيره من المؤلفات في هذا الباب.

المطلب الثاني: أسباب تأليف الإمام السيوطي كتاب التحبير في علم التفسير(١)

لابد لكل عمل من الأعمال من أسباب ودوافع تدفع صاحبها للمضي في عمل ما، سواء أكانت هذه الدوافع ذاتية، أو تاريخية تتعلق بالوقائع والأحداث التي يعيش فيها الإنسان، وكذلك الخلفيات السياسية والاجتماعية والعلمية.

وقد سجل السيوطي العديد من البواعث التي جعلته يؤلف هذا الكتاب، وبخاصة في مقدمته، فإنه عندما أقدم على تأليف هذا الكتاب لم يصادف من كتب في علوم القرآن إلا كتابين أولهما لشيخه أبي عبد الله الكافيجي، وثانيهما للإمام جلال الدين العسقلاني المعروف بـ"البُلقيني"، أحد علماء الحديث في مصر، ويعرف الكتاب "بمواقع العلوم من مواقع النجوم".

والسيوطي قد طالع الكتابين السابقين، وأخذ على أولهما إيجازه واختصاره وعدم شفائه لغليله، وأثنى على حسن جمع الثاني وجودة تركيبه، فألف كتاب التحبير مشتملاً على الأنواع التي وردت في "مواقع العلوم" وأضاف إليها أنواعا لابد منها في معرفة هذا العلم، فألف كتابه "التحبير".

وبسبب عدم الاستقرار السياسي في الأندلس، والعراق، والشام، كانت القاهرة قبلة العلم والعلماء، فنمت في القاهرة مراكز العلم ودور المعرفة وانتشرت فيها المكتبات وازدهرت حركة العلم وأصبحت مصر ملاذ العلماء.(٢)

كل هذا وغيره كان له أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلامية وتطورها مما حدا بالسلاطين من حبس المال على العلم والعلماء، مما أثرى الحركة العلمية في هذا العصر وعاد هذا الأمر بالنفع على السيوطي وغيره.

---

(١) سمى الإمام السيوطي كتابه في مقدمة الإتقان في علوم القرآن "التحبير في علوم التفسير": ٢/١، وكذلك في حسن المحاضرة:٣٧٩/١، وفي التحدث بنعمة الله، ص: ١١١.

(٢) عصر سلاطين المماليك محمود رزق سليم: ٢٠/٢.

المطلب الثالث: نسخ كتاب التحبير وأماكن وجودها

كتاب "التحبير في علم التفسير" له العديد من النسخ سواء أكانت مخطوطة أو محققة، أسهمت في إبراز وإخراج هذا المؤلف للنور وإفادة جميع دارسي علوم القرآن والتفسير منه، ومن النسخ المخطوطة المتوفرة في المكتبات ودور العلم ما يأتي:

١- نسخة مخطوطة توجد بدار الكتب المصرية- الخزانة التيمورية- تحت رقم٧٣ تفسير، تقع في ٦٠ لوحة، ٢٥سطر، في كل سطر نحو١٦كلمة وهي نسخة كاملة، خطها نسخي غير واضح، ناسخها: خضر بن عثمان، يوم الأحد العاشر من ذي الحجة سنة ٩٨١من الهجرة.

٢- النسخة الثانية توجد بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مصورة عن مكتبة شستربتي تحت رقم ٠١/٥١١٢، تقع في ٨٠ لوحة، ٢٣ سطر في كل سطر نحو ١٥ كلمة وهي نسخة كاملة، خطها نسخي، ناسخها: عبد الله بن سليمان بن محمد الشاذلي، سنة٩٨٢ه.

٣- النسخة الثالثة توجد بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكتبة مكة المكرمة مصورة عن مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب تحت رقم ٢٨١٤تفسير تقع في ١٧٩ لوحة ١٧سطر في كل سطر نحو ٧ كلمات، وهي نسخة كاملة، خطها نسخي غير واضح، ناسخها: عبد الله...الشافعي، تاريخ النسخ غير مذكور.

٤- النسخة الرابعة توجد بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مصورة عن مكتبة شستربتي تحت رقم ١/٤٦٥٥ تقع في ٥٣لوحة، ٢٥سطر في كل سطر نحو١٧ كلمة وهي نسخة ناقصة الآخر تنتهي بقول المؤلف" ونافع سنة تسع..." فالناقص بضعة أسطر، خطها نسخي جميل، ناسخها غير مذكور، تاريخ النسخ غير مذكور.

٥- النسخة الخامسة توجد بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة مصورة عن مكتبة طوبقو سراي تحت رقم ١٠٨ تفسير تقع في ٢٣٣لوحة ١٥سطر في كل سطر نحو ٦

كلمات وهي نسخة كاملة، خطها نسخي جميل إلا أنها كثيرة الأخطاء والتصحيفات جداً، ناسخها غير مذكور، وتاريخ النسخ سنة١١١٦هـ. (١)

المطلب الرابع: طبعات كتاب التحبير وتحقيقاته

لأهمية كتاب "التحبير" حظي بأنه طبع أكثر من طبعة بتحقيقات مختلفة، وجل معلومات المحققين مهما تنوعت إلا أنها متحدة في الهدف والمضمون، ومن بين هذه الطبعات ما يأتي:

١- التحبير في علم التفسير، تحقيق وتقديم الدكتور/ فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٢ه-١٩٨٢م.

٢- تحقيق ودراسة كتاب التحبير في علم التفسير، للباحث زهير عثمان على نور، في الأصل كانت رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة سنة١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة.

٣- ونشر أيضا بتحقيق الباحث، بدائرة الشؤون الإسلامية - قطر- الطبعة الأولى سنة:١٩٩٥م.

الرابع: نشر هذا الكتاب أيضا بدار نشر الكتب الإسلامية-لاهور- للدكتور/ فتحي عبد القادر، وأعيد طبعه في دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٨م. وطبعته وزارة الأوقاف القطرية.

وأشار صاحب المستدرك إلى أن مؤلفات السيوطي منها ما صدر عن دار المنار القاهرة سنة ١٤٠٦ه-١٩٨٥م (٢).

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان:١٨٢/٢. وفي الذيل:١٨٠/٢. مقدمة التحبير للسيوطي، ص:٤٤ وما بعدها. مقدمة الحبير للسيوطي، ص:١٦ وما بعدها. خزانة التراث "فهرس المخطوطات" إصدار مركز الملك فيصل. فهارس علوم القرآن لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، نشر مجمع اللغة العربية دمشق:٦٥/٣. مخطوطات المكتبة الوطنية "الأسد":٤٠٨/٢٧.

(٢) المستدرك على فهرس كتب السيوطي لمحمد خيري بمجلة عالم الكويت سنة١٩٩١م.

المبحث الثاني: منهج الإمام السيوطي في التصنيف

المطلب الأول: منهج السيوطي في التصنيف مطلقاً

الإمام السيوطي له باع طويل في التفسير وعلوم القرآن، لا يقل شأنا عن أحد من علماء عصره في ذلك، إن لم يكن أطولهم باعا، وأكثرهم تبحراً وتصنيفاً، يدلنا على ذلك آثاره وما حبرته يده من تآليف ما زالت المرجع في موضوعاتها حتى اليوم، وله – رحمه الله – العديد من السمات البارزة التي توضح منهجه في التأليف، بوجه عام يمكن إيرادها فيما يأتي:

١- **تلخيص كتب الآخرين والانتخاب منها**، مثل: ما فعله في " تاريخ دمشق " لابن عساكر، و" الضوء اللامع" للسخاوي– رحمه الله – وغيرهما.

٢- **شرحه للكتب والمنظومات**، مثل: شرحه على الألفية لابن مالك– رحمه الله–، وشواهد المغني لابن هشام–رحمه الله -.

٣-**أمانته في النقل**؛ فهو يلتزم بعزو كل قولٍ إلى من قاله، كما يتبيّن من مؤلفاته العديدة.

٤-**اختلاف حجم كتبه ما بين الورقة الواحدة والمجلدات الكبيرة**.

٥-**ضمّ مؤلفاته لعدد من عناوين كتبه**، مثل: كتابه " الحاوي للفتاوى " الذي يضم نحو سبعين رسالة له.

٦-**تنوّع موضوعات كتبه في الفنون المختلفة**.

٧-**نقلُه عن كتب دُثِرت الآن مما ساعد على حفظ نصوصها لنا**.

٨-**ذكره الأقوال المختلفة في الموضوع مسندة إلى مَن قالها، ومناقشة الأدلّة**، وبيان ترجيحه، أو توقفه عن **الترجيح**.

تلك هي أهم مظاهر منهجه في التصنيف التي سار عليها في مؤلفاته.

المطلب الثاني: منهج الإمام السيوطي في كتاب التحبير في علم التفسير

زيادة عما سبق من سمات عامة توضح منهج السيوطي، فهناك العديد من السمات الخاصة بمنهجه في التحبير والتي تتمثل في النقاط الآتية:

١- تقسيمه لأنواع علوم القرآن إلى"١٠٢" نوع؛ حيث إنه لم يذكرها عبثا، وإنما رتبها بمنهجية فائقة.

٢- مراعاة التسلسل المنطقي والتدرج الزمني لأنواع علوم القرآن من بداية نزوله حتى تفسيره وشروط المفسر وطبقات المفسرين.

قال عن الأنواع الأولى منه حتى العشرين: "وهذه كلها متعلقة بالنزول"، وقال عن التي تليها: "وهذه متعلقة بالأداء"، وعن التي تليها، "وهذه الأنواع متعلقة بالألفاظ"، وعن التي تليها قال: "وهذه متعلقة بالمعاني المتعلقة بالأحكام"[١]، وهكذا يذكر تحت كل قسم عدداً معينا من الأنواع المتقاربة في موضوعها.

٣- ذكر عنوان النوع ثم من ألف فيه وأسماء كتبهم وأول من صنف فيه وأحيانا ينقد هذه الكتب، وإن كانت له مؤلفات في هذا النوع أشار إليها.

٤- البدء بتعريف هذا النوع وفائدته، ثم يعرض مسائله وبحوثه ذاكرا الأقوال التي قيلت فيه مكثرا من النقل عن العلماء مسندا كل قول إلى قائله.

٥- نقده وترجيحاته لكثير من الأقوال مدعما رأيه بالدليل من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء ثم يضيف زوائده.

٦- إتباعه طريقة النقل والجمع والتلخيص من كتب السابقين.[٢]

٧- تسمية النوع الذي يتحدث عنه، وذكر أهم الكتب التي تناولته، وتوضيح أيها أقرب إلى الإجادة والإفادة، ثم بيان أهمية النوع في تدبر القرآن

(١) مقدمة التحبير للسيوطي، ص: ٣٠-٣٦ بتصرف.

(٢) السيوطي وجهوده في علوم القرآن للشربجي، ص: ٥١٩.

وتفهم معانيه، والاستشهاد على كل ما يقوله بالقرآن والسنة وأقوال العلماء وإبداء الرأي في كثير من الأحيان.

٨- يمتاز بذكر مراجعه بتصنيفها فهو لا يذكرها كلها جملة واحدة وإنما يصنفها طبقا لموضوعاتها وقد صنف مراجعه إلى نقلية وكتب فقهية وبلاغية وكتب أحكام ورسم ثم يختمها بما أسماه الكتب فيما سوى ذلك من الأنواء وتحت كل قسم من هذه الأقسام يذكر عشرات الكتب التي قرأها وانتفع بها.(١)

٩- عدم الاكتفاء بالإشارة الموجزة للكتاب الذي يقتبس منه وإنما يحدد اقتباساته منه ويقبلها أو ينقدها؛ فهو في الحديث عن مشكل القرآن وموهمه يقول: "قال أبو إسحاق الأسفراييني...وقال الصرفي...وقال الكرماني....إلخ.(٢)

هذه دعائم منهج الإمام السيوطي مطلقا في كل تصانيفه تآليفه عامة، وفي كتاب التحبير خاصة، بهذه السمات العامة والخاصة تبين تفرد الإمام وعلو كعبه في هذا الجانب، وإحداثه لهذه المنهجية التي نالت قبول عصره وبعد عصره.

(١) الإتقان للسيوطي:٢/٦٤.

(٢) المصدر السابق.

المبحث الثالث: منهج الإمام السيوطي في الترجيحات

المطلب الأول: تعريف الترجيح في اللغة والاصطلاح

تعريف الترجيح:

أولًا: الترجيح في اللغة:

تدور معاني كلمة "الترجيح" عند أهل اللغة حول معنى "وزن الشيء" ليستبين أي الطرفين أثقل ميزانًا من الآخر، فـ"الراجح" عندهم هو "الوازن".

قال أبو منصور الهروي– رحمه الله تعالى –: "رجح: قَالَ اللَّيْث: الراجِح: الوازِن. يُقَال: رَجَحتُ الشيءَ بيَدي أَي وزنتُه ونَظرت مَا ثِقْلُه، وأَرْجَحتُ الْمِيزَان أَي أَثقَلتُه حَتَّى مَال"(١).

وقال الجوهري– رحمه الله تعالى –: "رَجَحَ الميزانُ يَرْجَحُ ويَرْجُحُ ويرجِحُ، رُجْحاناً، أي مالَ. وأَرْجَحْتُ لفلان، ورَجَّحْتُ تَرْجيحاً، إذا أعطيته راجحاً. والرَجاحُ: المرأة العظيمة العَجُز، والجمع الرجح"(٢).

وقال ابن فارس– رحمه الله تعالى –: "رجح الشيء، وهو راجح، إذا وزن، وهو من الرجحان"(٣).

ثانيًا: الترجيح في الاصطلاح:

الترجيح عند أهل الاصطلاح لا يخرج عن المعنى الثابت له في اللغة، فإذا كان الترجيح عند أهل اللغة يدور حول معنى "وزن الشيء" ليستبين أي الطرفين أثقل ميزانًا من الآخر.

فإن معنى الترجيح عند أهل الاصطلاح: هو إثبات مرتبة ومزية لأحد الدليلين على الآخر.

قال الجرجاني– رحمه الله تعالى –: " الترجيح: إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر"(٤).

---

١) تهذيب اللغة لأبي منصور الهروي (٨٦/٤).

٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٦٤/١).

٣) معجم اللغة لابن فارس (٤٢٠/١).

٤) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ص ٥٦).

وقال: "التَّرْجِيح: هُوَ بَيَان الْقُوَّة لأحد المتعارضين على الآخر"[1].

ومن الألفاظ المرادفة للترجيح، ويستعملها العلماء بنفس معنى الترجيح كلمة "الاختيار".

ومما سبق يتبين أن المعنى الاصطلاحي لكلمة "الترجيح" يدل على أن الترجيح عند المفسرين هو: تقديم أحد الأقوال المحتملة في وجه الآية على غيره لما فيه من مزية معتبرة تجعل تقديمه أولى من غيره [2].

وعلى ذلك فالمراد بالترجيح في التفسير "تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته أو على ضعف ما سواه من الأقوال".

والمراد بترجيحات السيوطي هنا: تقوية السيوطي أحد الأقوال في مسائل علوم القرآن خاصة لدليل من الأدلة.

ويدخل فيه كل ما يتقوى به القول الراجح من الأدلة؛ سواء أكانت من القرآن الكريم أم من السنة المطهرة، أم من الآثار، أم من التعليلات المبنية على القواعد الشرعية.

المطلب الثاني: أهمية دراسة الترجيح

الترجيح بين أقوال العلماء له مكانة عظيمة، وأهمية بالغة في تقوية أحد الأقوال على غيره لدليل من الأدلة، لذا تعود أهمية علم الترجيح لأمور هي:

١- معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله -تعالى- ومن ثم العمل بها اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة، وعملا بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العلمية، وسلوكا وأدبا إن كانت من الأخلاق والآداب.

---

١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي الكفوي (ص ٣١٥).

(٢) الترجيحات لابن كثير: ١/١٩.

٢- تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة أو مدسوسة بها لمذهب عقدي أو لصاحب هوى أو بدعة أو نحو ذلك (١).

٣- الإفادة من مناهج المفسرين في القبول والرد.

٤- الوقوف على أهم قواعد الترجيح عند المفسرين.

٥-بيان القول الفيصل في الآيات المشكلة بدليله.

٦- بيان أسباب خطأ المفسرين لأن معرفة الأقوال المرجوحة يتبين من خلاله أسباب خطأ أصحابها.(٢)

المطلب الثالث: بيان متى يكون الترجيح والاختيار

الاختيار لا يكون إلا عند الأقوال المتعارضة، لأن معرفة أصح الأقوال في المعنى المراد بكلام الله-عز وجل- من أنفس مقاصد العلم، وأهم ما يجب على طالب العلم تحصيله، لذا ينبغي لطالب العلم أن يحرص على معرفة ما وقع بالإجماع على تفسيره أو بيّن في موطن آخر من القرآن أو السنة، أو في كلام الصحابة أو من أتى من بعدهم من أهل اللغة والعلم.

والاختيار والترجيح يكونان في الآيات التي وقع الخلاف في تفسيرها؛ لأن ما لم يقع فيه خلاف فهو خارج عن موضوع البحث، ولا يخلو هذا الخلاف عن أربع حالات:

الحالة الأولى: أن تكون جميع الأقوال محتملة في تفسير الآية، ولا دليل يدل على تقديم بعضها أو ترجيحه.

الحالة الثانية: أن تكون الأقوال محتملة في تفسير الآية غير أن بعضها أولى من بعض لحجة تدل على ذلك.

الحالة الثالثة: أن يكون الخلاف من قبيل خلاف التضاد ويتعذر معه حمل الآية على الأقوال مجتمعة.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، ص:٣٣.

(٢) اختيارات الشوكاني لعلى بن حميد، ص: ٣٤.

الحالة الرابعة: أن يقوم الدليل على رد بعض الأقوال وتضعيفها [١].

وهذه الشروط والقواعد التي يكون فيها الترجيح سوف تطبق في جانبها العملي آنفا عند دراسة القضايا والمسائل التي تم الترجيح فيها عند السيوطي.

المطلب الرابع: الفرق بين الترجيح وغيره من المصطلحات

عند دراسة علم الترجيح وما يحويه من قواعد وشروط، هناك بعض المفاهيم التي لها علاقة وطيدة بهذا المفهوم، وفي ذات الوقت هناك العديد من الفروق والميزات التي إذا اختصت بها واحدة لم تكن في الأخرى، ومن بين هذه المفاهيم ما يلي:

الأول: الاختيار: "الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، والاختيار مصدر اختار، وخار الشيء واختاره انتقاه واصطفاه، ثم يحمل عليه فالخير خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه"[٢].

فخار واختار وتخير وما ألحق بها يراد بها في اللغة: الانتقاء والتفضيل والجودة، خار الشيء واختاره وتخيره: انتقاه، وخار الرجل على غيره خيره وخيراً: فضله[٣]

وفي التنزيل قال تعالى:﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف/١٥٥]، أي اصطفى منهم ، وانتقى سبعين رجلاً، وإنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت "من"؛ لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم، فلما جازت

(١) ترجيحات أبي جعفر النحاس لزيد مهارش، ص١١١، قواعد التفسير لحسين الحربي:٤٢/١.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٣٨٥/١٠.

(٣) لسان العرب لابن منظور:٢٦٤/٤.

الإضافة مكان "من" ولم يتغير كالمعنى؛ استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا.(١)، والاختيار الاصطفاء وكذلك التخير(٢).

ويعرف بأنه: "طلب ما فعله خير".(٣)، **ويعرف أيضاً:** "بأنه الميل إلى ما يراد ويرتضى".(٤)

ويأتي "خير" على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون دالا على التفضيل كما في قوله تعالى:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[البقرة/١٩٧].

والوجه الثاني: أن لا يكون كذلك كما في قوله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران/١٠٤].

فالاختيار هو: تكلف طلب ما هو خير (٥).

وهذا هو المعنى العام الذي تدور حوله الاستعمالات اللغوية لكلمة: اختيار، ومنه ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "تُخَيِّرُوا لِنُطَفِكُمْ، فَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ"(٦).

أي اطلبوا لها ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها من الخبث والفجور (٧).

فالاختيار مبني على المفاضلة وهو بهذا يعني الترجيح، لذا كان من تعاريفه عند الفقهاء: ترجيح تصرف على غيره (٨).

---

(١) معاني القرآن للفراء:٣٩٥/١.

(٢) الصحاح للجوهري:٥٦٣/٢.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص:٤٢.

(٤) الحدود الأنيقة لزكريا الأنصاري، ص:٦٩.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور:١٩٨/٨، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص ٤٢.

(٦) حسن: أخرجه ابن ماجه في سننه (٦٣٣/١) ح ١٩٦٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين :٢/ ١٧٦، وقال: صحيح.

(٧) انظر: سنن ابن ماجه، الحاشية: ٤٧٨/٢.

(٨) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي:٢٨/٢.

وعلى هذا فبين الترجيح والاختيار عموم وخصوص، فكل اختيار ترجيح لا العكس؛ لأن الترجيح يشمل الاختيار وغيره كرد الأقوال الضعيفة والشاذة وترجيح أحد الأقوال المتضادة.

أما الاختيار فهو في صورة واحدة وهي تقديم الأولى من أقوال المفسرين مع تصحيح عامة الأقوال، وأما الترجيح بمجرد الاختيار دون ترجيح شيء عند العالم فهو مردود، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأما الترجيح بمجرد الاختيار بحيث إذا تكافأت عنده الأدلة يرجح بمجرد إرادته واختياره، فهو ليس قول أحد من أئمة الإسلام، وإنما هو قول طائفة من أهل الكلام.... فالترجيح بمجرد الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد من أئمة العلم والزهد"(١).

ومن خلال التعريفات السابقة للاختيار والترجيح، يتبين الفرق بينهما من جوانب عدة على النحو الآتي:

١-أن الاختيار اصطفاء وانتقاء من مجموعة تتقارب فيها الأوصاف ولا تتماثل، فعينه ترقب الجميع، وينتقي لوصف يراه، فاختيار موسى-عليه السلام – للسبعين من قومه لا يعني أن البقية مطروحة غير محتملة.

٢-أن الاختيار والترجيح بينهما خصوص وعموم، فكل اختيار ترجيح، وليس كل ترجيح اختياراً (٢).

٣- أن الترادف المحض بين الألفاظ في الذات والصفات غير موجود (٣)، وهذا يعني التغاير بين الاختيار والترجيح لاشتمال كل واحد منهما على صفات مختلفة عن الآخر.

الثاني: التعارض: في اللغة مصدر تعارض، يقال عارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته، والشيء عرض

(١) الفتاوى لابن تيمية:١٠/٤٧٢.

(٢) ينظر: الكليات للكفوي، ص:٤٧.

(٣) ينظر: روضة المحبين لابن قيم الجوزية، ص:٥٤.

عيني أي مقابلها، وعرض الشيء يعرض واعترض انتصب ومنع وصار عارضا كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها بمنع السالكين سلوكها(١).

التعارض في الاصطلاح: تقابل الحجتين المتساويتين في القوة، على وجه يوجب كل منهما ضد ما توجبه الأخرى في محل واحد في وقت واحد(٢).

وموضوع التعارض في علم التفسير الأقوال المختلفة في التفسير، حيث إن الأصل فيه خلاف التضاد، وأدخلت بعض صور خلاف التنوع من باب حمل الآية على أولى الوجوه وأوقفها للنظم (٣).

المطلب الخامس: صيغ الترجيح عند السيوطي

إن مما يظهر قوة القول ورجحانه عند المصنفين ذكرهم صيغ الترجيح المتعددة، وذلك للقول الذي يختاره المصنف، في أي مسألة من مسائل علوم القرآن، والمتأمل في صيغ السيوطي التي استعملها يتبين له أنه عبر عند اختياره لأحد الأقوال، أو ترجيحه لها من خلال الصيغ الآتية:

أولاً: وصف القول الراجح بأنه الأولى، أو الأوضح، أو المختار: وهي مفتقرة إلى التأكيد، ولكنها تدل على الترجيح، يدل على ذلك ما جاء في بيانه لنوع (من) في قوله تعالى:﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[نوح:٤] حيث قال إنها:" للتبعيض، وقيل: لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية. وهذان ضعيفان، والأول أولى"(٤)

(١) لسان العرب ابن منظور: ١٦٨/٧.
(٢) البحر المحيط الزركشي: ١٠٩/٦، التيسير في قواعد علم التفسير، ص: ٢٢٨.
(٣) قواعد الترجيح حسين الشريف: ص: ٣٤.
(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي:٤٣٥/٣.

وقال في النوع المائة "المبهمات": قال أصحاب المبهمات: الضمير- في قوله:﴿تحبسونهما﴾ لتميم الداري وعدي النازل فيهما الآية، قلت: الأولى أن يقال هو راجع لأثنين في أول الآية وهي عامة وإن كان سبب نزولها قصتهما.(١)

وفي النوع "المكي والمدني" واختلاف العلماء في عد بعض السور مثل "الحديد" فقيل: إنها مكي، وقيل: إنها مدينة، قال السيوطي: فالختار أنها مكية. (٢)

ثانياً: وصف السيوطي للقول الراجح بأنه الصحيح:

وهذه الصيغة كثيرة عند السيوطي، وهي تدل في الغالب على ترجيح السيوطي لأحد الأقوال، ورد ما سواه، ومن أمثلة ذلك: ما جاء في مسألة فيمن نزل قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[الأحقاف:١٨] قال السيوطي: اُختلف فيمن نزلت الآية فقيل: في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- حال كفره، وقيل: هو على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، وهو الصحيح(٣).

ثالثاً: التصريح بكون أحد الأقوال أصوب من الآخر:

وهذه الصيغة تدل على اختيار السيوطي لأحد الأقوال في المسألة مع عدم رده لغيره، ومن أمثلة ذلك: ما جاء في نوع سورة الكوثر، حيث قال السيوطي: "سورة الكوثر الصواب أنها مدنية".(٤)

(١) التحبير للسيوطي:١/١٥٤.

(٢) ينظر: التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص:٦٨

(٣) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي:٣/٤١٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٤٦، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي:١/٢٣٥.

رابعاً: التصريح بأن أحد الأقوال الواردة في المسألة هو الأصح:

وهذه الصيغة هي أكثر الصيغ المستخدمة عنده، وهي تدل في الغالب على أن المسألة فيها عدة أقوال محتملة، ولها وجه من الصحة، إلا أن هذا القول المختار هو الأصح، ومن أمثلة ذلك: ما جاء في مسألة وقوع الترادف في القرآن، فقد اختلف في وقوعه، واختار السيوطي وقوعه في القرآن بقوله: "والأصح وقوعه".(١)

خامساً: وصفه للقول الراجح بأنه المعتمد:

ويكثر من هذا عند ذكره لتصحيح الحديث في القول الراجح في مثل أسباب النزول وغيرها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في سبب نزول قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١]حيث ذكر السيوطي ما ورد من خلاف في سبب نزولها، ومنها أنها نزلت بعد أن استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بضعة عشر شهراً، بعد هجرته إلى المدينة وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، وقال عنه إنه صحيح الإسناد، وصرح فيه بذكر السبب، فهو المعتمد.(٢)

سادساً: قوله بأن القول الراجح هو الظاهر أو الأشهر:

وهذه الصيغ تدل على ظهور القول الراجح وشهرته على غيره، ومن أمثلة ذلك: في صيغة "الظاهر" ما جاء في مدة بقاء حكم تقديم الصدقة عند المناجاة قبل أن ينسخ، حيث قال السيوطي: قيل: إن حكم المناجاة بقي عشرة أيام وقيل بقي ساعة من نهار، والظاهر أنه بقي ساعة من نهار قبل أن

(١) التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص:٢١٦. والنوع السابع والثامن والأربعون "المجمل والمبين" ص:٩٦/١. والنوع الثالث والخمسون "العام الباقي على عمومه"، ص:٩٩/١.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٩٥/١، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ٢٢-٢٣.

ينسخ.[١] ، وفي تعين "المكي والمدني" قال: أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة. [٢]

سابعاً: ترجيح أحد الأقوال بتضعيف ما سواه من الأقوال:

ويستخدم في بعض المسائل الإعرابية صيغة "خطئ" وفي بعض مسائل الوقف والابتداء، كما في قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[السجدة:٣][٣]

المطلب السادس: قواعد[٤] الترجيح والاختيار عند السيوطي.

بعد النظر والتأمل في الطرق العامة التي سلكها السيوطي في اختياراته وترجيحاته لأحد الأقوال على حساب الآخر، تبين أنها تشمل الاختيار أو الترجيح بدلالة القرآن، أو بدلالة الحديث، أو بدلالة الأثر، أو بدلالة الإجماع، أو بدلالة اللغة، أو بدلالة السياق، أو بدلالة قول الجمهور، ونحو ذلك من الوجوه.

---

(١) ينظر: التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص:٢٦١-٢٦٢.

(٢) ينظر: التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص:٦١.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٥٣٣/١.

(٤) القاعدة من حيث اللغة موضوعة لما هو الأساس لشيء ؛ سواء أكان ماديّاً أو معنويّاً، على نحو ينعدم الشيء ويضمحلّ بسبب انتفائه، فالبيت مثلًا ينعدم بانعدام أساسه، والدين ينـدرس بانـدراس أساسه، والعلم ينتفي بانتفاء القواعد الكليّة الموجودة فيه. قال ابن منظور: والقاعدة : أصل الأسّ، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت أساسُه، وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ، وفيه :﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[النحل: ٢٦]، قال الزجاج: القواعد أساطين البناء الّتي تعمده، وقواعد الهَوْدَج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركّب عيدان الهودج فيها" راجع: ابن منظور: لسان العرب:٢٩١/٥.

وأمّا بحسب الاصطلاح: فهي قضيّة كلّية منطبقة على جميع جزئياتها، قال التهانوي: هي تطلق على معان: مرادف الأصل، والقانون، والمسألة، والضابطة، والمقصد. وعرّفت بأنّها أمر كلّي منطبق على جميع جزئيّاته عند تعرّف أحكامها منه". راجع: التهانوي: كشاف اصطلاحات العلوم:١٩٢/٢.

أولاً: الاختيار والترجيح بدلالة الكتاب:

إن أفضل ما تعرف به علوم كتاب الله هو كتاب الله، كما أن أصح الطرق في تفسير القرآن أن يفسر القرآن بالقرآن.(١)

وقد اهتم السيوطي بالاختيار والترجيح بدلالة القرآن وذلك في مواضع عدة من كتبه بما فيها كتابه "التحبير".

ثانياً: الاختيار والترجيح بدلالة السنة:

السنة النبوية فيها الإيضاح والبيان لما جاء في القرآن، وهي المتممة للتشريع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه، والأمر بالأخذ بما جاء به من الوضوح بمكان، وقد اهتم السيوطي بالأخذ بدلالة السنة في الاختيار والترجيح، حيث إنه من حفاظها.

مثال ذلك: ما جاء في معرفة غريبه، حيث قال السيوطي في قوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[الماعون:٤]:كلمة عذاب، وقيل: دعاء بالثبور، وقيل: واد في جهنم، وهو الصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.(٢)

ثالثاً: الاختيار والترجيح بدلالة الأثر:

لقد كان الصحابة –رضي الله عنهم– خير الأمة بعد نبيها، وأعلم الناس بكتاب الله، حيث عايشوا التنزيل، وعاصروا التشريع، مع ما حباهم الله به من سعة الفهم وسلامة المقصد، وكذا كانت حال التابعين في بحثهم عن الحق وتجردهم للوصول إلى الصواب.

وقد رجع السيوطي إلى أقوال الصحابة والتابعين في مسائل من علوم القرآن.

---

(١) ينظر: الفتاوى لابن تيمية: ٣٦٣/١٣.

(٢) قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي:٢٧٨/١.

مثال ذلك [١]: ما جاء في نوع سورة الأعلى، حيث قال السيوطي: "سورة الأعلى الجمهور على أنها مكية ... وقيل: إنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها، ... ويرده ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه في مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة، وفيه قال البراء بن عازب: فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور مثلها".[٢]

ولم يقتصر السيوطي على الاختيار والترجيح بدلالة الكتاب والسنة والأثر، وإنما تجاوز ذلك إلى دلالة اللغة، والسياق، والعموم، ورسم المصحف، والقواعد الأصولية.

وإن تنوع تلك الصيغ الترجيح واختلافها ليس عبثاً، خصوصاً عند العلماء الأعلام مثل السيوطي، ويرجع تنوعها إلى العديد من الأسباب، كاختلاف الأدلة عنده من حيث القوة والضعف، فعندما يترجح القول عنده بدليل صحيح فنجده في بعض الأحيان يستعمل صيغة: "المعتمد".[٣]

وكذلك حينما يكون القول المخالف له حظ من القوة والوجاهة وهو مشتهر بين العلماء، نجد السيوطي يعبر بصيغة: "المختار"[٤]، مما يدل على عدم رده للأقوال الأخرى، وكونها محتملة عنده.

وفي مسائل اللغة والإعراب نجد السيوطي أحياناً يرجح عن طريق تخطئة القول المخالف فيقول: خطئ من قال كذا.[٥]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٤٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى، حديث رقم: ٤٦٥٧.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٩٤ ، ٩٥/١، ٩٦/١،: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ١٥، ٢٢-٢٣ ،١٨٣ ، ٣٣٣.

(٤) ينظر: على سبيل المثال: التحبير في علم التفسير، ص:٥١، الإتقان في علوم القرآن، ص:٤٦/١، :١٤٤/١، ٢١/٢، معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي: ٣٢٩/٢.

(٥) ينظر: على سبيل المثال: الإتقان في علوم القرآن السيوطي:٥٣١/١، ٥٣٢/١، ٥٣٣/١، ٥٣٤/١.

وتنوع الصيغ عند السيوطي يكون أحياناً تنويعاً في الأسلوب على عادة العرب في إيراد المعنى الواحد بألفاظ متعددة، وبالتالي لا يتقيد بصيغة معينة لما ذكرته أعلاه (١).

وصيغ الاختيار والترجيح عند السيوطي: تظهر بوضوح من خلال الألفاظ التي استخدمها في كتبه عند بيان ما يختاره ويرجحه من الأقوال، كأن يقول بعد ذكره لعدة أقوال في مسألة من مسائل علوم القرآن: والأول أصح، أو: وهذا الذي ينشرح له الصدر، وغير ذلك.

المطلب السابع: منهج السيوطي في المسائل المختلف فيها اللازمة للترجيح أو الحيدة.

بعد النظر في اختيارات السيوطي وترجيحاته ظهر أن منهجه يتمثل في التالي:

١- أنه يعرض الأقوال المخالفة بموضوعية، وقد يذكر أدلتها قبل أن يناقش تلك الأدلة، أو يضعفها(٢).

٢- قد يستند إلى قول الجمهور لتقوية حجته في رده للقول المخالف(٣).

٣- أنه كثيراً ما يورد الأقوال المخالفة دون أن ينسبها لأحد، وفي هذا تجرد في الوصول إلى الحق بغض النظر عن أصحاب تلك الأقوال المخالفة(٤).

---

(١) ينظر: على سبيل المثال ما ذكره في مسألة وقوع المعرب في القرآن حيث ذكر صحة الإسناد عنده ولم يستعمل صيغة "المعتمد"، ينظر: الإتقان في علوم القرآن:١/٣٩٤، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، ص:٦٠.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: لباب النقول في أسباب النزول، ص:١٢٠، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص:١/٢٨٧، ٣/٢٩٢، ٣/٣٥٠، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٢٧٨ ، ٢/٢٣٠ ، ٢/٤٧٣.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: التحبير في علم التفسير، ص:٥١، الإتقان في علوم القرآن:١/ ٤٥، ٢/٢٠٨، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص: ٢/٦٠١.

(٤) ينظر: على سبيل المثال: التحبير في علم التفسير، ص:٤٠٦، معترك الأقران في إعجاز القرآن:١/٣٧٧ ، ٢/٤٢ ، ٢/٣٢٦ ، ٢/٥١٧، قطف الأزهار في كشف الأسرار:٢/٨٦٥.

٤- أنه كثيراً ما يدعم ردوده على الأقوال المخالفة بالأحاديث والآثار[١]، وذلك بسب كثرة ما يحفظه منها، ويورد تلك الأحاديث والآثار ويعزوها لمصادرها ، وقد يحكم عليها صحة أو ضعفاً.[٢]

٥- عدم التشنيع أو التهجم على أصحاب الأقوال المخالفة، وإنما ينتقد بأدب جم، مثل قوله: خطئ من قال كذا[٣]، وهذا يختلف عن معاملته لأقرانه حينما يدافع عن نفسه، فإن دفاعه يتسم بالقوة والصلابة.

٦- أنه يتبع القول الذي يرجحه بالحجة والبرهان، ونادراً ما يرجح بدون ذكر الدليل على ترجيحه[٤].

٧- في مسائل اللغة والإعراب يرد القول المخالف ويذكر القاعدة التي استند عليها دون أن يستشهد بشيء من كلام العرب، وقد يكون سبب ذلك رغبته في الاختصار وعدم الإطالة، وأن محل ذلك هو كتب اللغة و النحو.[٥]

(١) ينظر: على سبيل المثال: السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص:١٢٠، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٤٥/١، ٢٧٨/١، قطف الأزهار في كشف الأسرار:٤٧٦/١ ، ٢٧٨/١.

(٢) ينظر: فهرس الفهارس للكتاني: ١٠١٠/٢ ، حيث ذكر أن السيوطي يحفظ مائتي ألف حديث.

(٣) ينظر: على سبيل المثال: الإتقان في علوم القرآن:٥٣١/١، ٥٣٢/١، ٥٣٣/١، ٥٣٤/١.

(٤) ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن:٩٥/١، ١٢٤/١ ، ٥٩/٢، لباب النقول في أسباب النزول:٢٢-٢٣، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٢٠٣/٣، ٤١٥/٣.

(٥) ينظر: على سبيل المثال: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن:٥٣١/١، ٥٣٢/١، ٥٣٣/١، ٥٣٤/١.

المبحث الرابع: نماذج من ترجيحات الإمام السيوطي في كتابه "التحبير في علم التفسير"

المطلب الأول: المكي والمدني

"المكي والمدني" أحد أنواع علوم القرآن التي تعنى بمواطن النـــزول، وأوقاتها، ووقائعها.(١)

اصطلح العلماء في تعريف المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

الأول وهو أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نـــزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمـــدني مـــا نـــزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكـــي ولا مدني، ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبيـــة وفـــي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسلع.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقـــع خطابـــا لأهل المدينة وحمل على هذا قول ابن مسعود والذي أخرجه البخاري عـــن ابن مسعود أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت.(٢)

قال السيوطي: فالمشهور أن ما نزل قبل الهجرة مكي ومـــا بعـــدها مدني، سواء نزل بمكة أو المدينة أو غيرهما من الأسفار. (٣)

ولم يذكر السيوطي في التحبير دليلاً على قوله، ولا سبباً لترجيحه.

---

(١) مواقع العلوم للبلقيني:٢٨/١.

(٢) صحيح البخاري. كتاب: فضائل القرآن. باب: القراء من أصحاب النبي:٥٠٠٢/١٨٧/٦.

(٣) التحبير للسيوطي:٦١/١. مواقع العلوم للبلقيني:٣٠/١.

الدراسة والنقد:

وافق السيوطي في اختياره: الزركشي، وقال: هو المشهور[١]، واختاره ابن كثير[٢]، والبلقيني وقال: هو الذي عليه الجمهور.[٣]

واستدلوا على قوة اختيارهم بأمور منها:

١- الإجماع على أن المائدة مدنية، وفيها ما نزل بحجة الوداع يوم الجمعة بعرفات، وهو قوله-تعالى-:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣]، على ما في الصحيح من حديث ابن عمر.[٤]

قال البلقيني: فيقوى بذلك أن كل ما نزل بعد الهجرة مدني سواء نزل بالمدينة أو في السفر أو في مكة، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة. [٥]

٢-**استدلوا بما أخرجه** عثمان بن سعيد الداني[٦] بسنده إلى يحيي بن سلام[٧] قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني.[٨]

---

(١) البرهان للزركشي:١/١٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير:١/١٨.

(٣) مواقع العلوم للبلقيني:١/٣٠.

(٤) صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: زيادة الإيمان ونقصانه:١/١٨/٤٥. صحيح مسلم. كتاب: التفسير:٤/٢٣١٣/٣٠١٧.

(٥) مواقع العلوم للبلقيني:١/٣٠.

(٦) عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الداني، توفي سنة:٤٤٤ه الإمام صاحب التصانيف الإمام المجود المقرئ: انظر تاريخ الإسلام للذهبي:٩/٦٥٩/١١٥. وسير أعلام النبلاء للذهبي:١٨/٧٧/٣٦.

(٧) يحيي بن أبي سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، توفي سنة:٢٠٠ه ضعفه الدارقطني، وقال ابن أبي حاتم: يكتب حديثه مع ضعفه انظر: تاريخ الإسلام للذهبي:٥/٢٢٢/٤١٢. لسان الميزان لابن حجر:٨/٤٤٧/٨٤٦٧.

(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين:١/١١٣. البيان في عد آي القرآن للداني:١/١٣٢.

وبه أيضا استدلوا علي ما يرد على اصطلاحهم، قال السيوطي: هـذا أثر لطيف يؤخذ منه: أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً. (١)

وخالفهم: الماوردي (٢)، وجماعة (٣) فذهبوا إلى أن المكي مـا نـزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ولم أقف لهم علـى دليـل نقلي، ولعل الارتباط الأغلبي بين أماكن النزول وهـذا المصـطلح "المكـي والمدني"؛ فأغلب التنزيل إما في مكة وإما في المدينة. (٤)

وخالفهم: بعض العلماء فقالوا: إن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكـة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

واستدلوا: – بما روي عن علقمة – مرسلا–: كل شيء في القـرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه نزل بالمدينة، وما كان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فإنه نزل بمكة.(٥)

الترجيح: الملاحظ أنه لا دليل نقلي ثابت يرجع إليه في هذا التقسـيم، وإنما هو اصطلاح العلماء، والحاجة العلمية الدافعة إلى البحث عـن سـبل لتعريفه وحده بحد مميز؛ لذلك تفاوت حصرهم للاصطلاحات؛ فذكروا منها: ثلاثة اصطلاحات(٦)، ومنهم من اقتصر على: اثنـين.(٧) والاصـطلاحات الثلاثة من جملتها الاثنين، والملاحظ:

أن الاصطلاح الأول: مداره على "زمان النـزول" بالنسـبة للهجـرة؛ فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة نفسها،

---

(١) الإتقان للسيوطي:١/٤٥.

(٢) علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم سعيد:١/١٨٤.

(٣) ترجيحات الزركشي لبدر بن ناصر البدر:١/١٤١.

(٤) ترجيحات الزركشي بدر بن ناصر البدر:١/١٤٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة. كتاب: فضائل القرآن. باب: ما نزل من القرآن بمكـة :١٠/٥٢٢/٣٠٧٦٨. مسند البزار. مسند ابن مسعود:٤/٣٣٦/١٥٣١.

(٦) البرهان للزركشي:١/١٨٧. الإتقان للسيوطي:١/٤٥

(٧) انظر في ذلك: البيان في عد آي القرآن للداني:١/١٣٢. مواقع العلوم للبلقينـي:١/٣٠. التحبيـر للسيوطي:١/٦١.

فيرد عليه ما نزل بطريق الهجرة قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥].(١) لأن الأثر المروي عن يحيي بن سلام، فيه: علي بن الحسين بن واقد المروزي، صدوق يهم.(٢)

وما قوى به البلقيني اختياره لا حجة فيه؛ لأنه على الاصطلاح الثاني وإلا لما استثني من السورة شيء.

وفي الاصطلاح الثاني: أن مداره على "مكان النزول"؛ فيدخل في المكي ما نزل بمكة وضواحيها كالمنزل في منى، وعرفات، والحديبية، ويدخل في المدني: ما نزل في المدينة وضواحيها كالمنزل في بدر، وأحد، وسلع(٣)، وعليه ينقسم المكي إلى مكي أول، ومكي ثاني.(٤) إلا أنه يرد عليه: ما نزل في غير مكة والمدينة وضواحيهما كالمنزل في الطائف وتبوك، ولا ريب أن عدم الضبط في التقسيم يترك واسطة لا تدخل فيما يذكر من الأقسام؛ فما نزل في الأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني(٥)، وذلك عيب يخل بالمقصود الأول من التقسيم، وهو: الضبط والحصر.(٦)

وفي الاصطلاح الثالث: أن مداره على "شخص المخاطب"؛ إذ لما غلب على أهل مكة الكفر خوطبوا بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ولما غلب على أهل المدينة الإيمان خوطبوا بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. ويرد عليه أمران: أحدهما: ما ورد على سابقه من أنه غير ضابط ولا حاصر؛ فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما، نحو قوله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ

(١) لباب النقول للسيوطي:١/٦٥.

(٢) علي بن الحسين بن واقد المروزي، ضعفه أبو حاتم، وقواه غيره، توفي سنة:٢١١هـ. انظر: الكاشف للذهبي:٢/٣٨/٣٩٠٢. تقريب التهذيب لابن حجر:١/٤٠٠/٤٧١٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن:١/٣٨.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن المقري:١/١٩٣. جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي:٢/٨٩٤. غرائب التنزيل للرازي:١/١٢.

(٥) الإتقان للسيوطي:١/٣٧.

(٦) انظر: التحبير للسيوطي:١/٦١. مناهل العرفان للزرقاني:١/١٥٩ وما بعدها بتصرف.

وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[الأحزاب:١]، ونحو قوله سبحانه:﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[المنافقون:١]، وثانيهما: أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين بل إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، مثال: سورة النساء؛ فإنها مدنية وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾[النساء:١] وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]، وكذلك سورة الحج؛ فإنها مكية وفي أواخرها:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[الحج:٧٧].(١)

قال الزركشي: فإن أريد أن الغالب كذلك فصحيح.. (٢)، وتعقب بأن صحة الكلام في ذاته لا تسوغ صحة التقسيم؛ فإن من شأن التقسيم السليم أن يكون ضابطاً حاصراً وأن يكون مطرداً، وقيد الغالبية المراد لا يحقق الضبط والحصر وإن حقق الاطراد؛ فيبقى التقسيم معيباً. على أنهم قالوا: المراد لا يدفع الإيراد. (٣)

الترجيح: ما اختاره السيوطي هو: الأرجح؛ لأن هذا الاصطلاح مداره على "الضابط الزماني"، وهو ضابط حاصر مضطرد لا يختلف بخلاف الآخرين، ووقع الاتفاق عليه(٤)، وكذلك إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين.(٥)

(١) مناهل العرفان للزرقاني:١/ ١٥٩، وما بعدها بتصرف.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي:١/١٩٠.

(٣) انظر: مناهل العرفان للزرقاني:١/١٥٩، دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر:١/٤٦.

(٤) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر:١/٢٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر:٩/٤١.

(٥) انظر: الانتصار للباقلاني:١/٢٤٧. البرهان للزركشي:١/١٩١. الإتقان للسيوطي:١/٣٨. روح المعاني للألوسي:٩/٢١٢.

ثلاثة نماذج من ترجيحات السيوطي في نوع المكي والمدني:

النموذج الأول: سورة الفاتحة:

اختلف العلماء في عد سورة الفاتحة على أقوال؛ فقيل: إنها مكية، وقيل: مدنية، وقيل: تكرر نزولها، وقيل: نزلت على مرتين؛ نصف بمكة ونصف بالمدينة.

قال السيوطي: فالمختار فيها قول الجمهور، لكن روى الطبراني في الأوسط، قال: حدثنا عبيد بن غانم، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي هريرة: أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة [١]، هذا إسناد رجاله رجال الصحيح، وقد كان خطر لي في القدح فيه؛ أن الجملة الأخيرة منه مدرجة في الحديث، وليست منه، ثم رأيت أبا عبيد أخرجها من قول مجاهد؛ فقال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة [٢]، وأخرجها أيضا عنه الفريابي في تفسيره، وأخرج مقاتل في تفسيره الجملة الأولى منه[٣] – أيضا–؛ فصار علة للحديث المرفوع. [٤]

الدراسة والنقد:

وافق السيوطي في اختياره: الجمهور في كونها مكية [٥]، وهو مروي عن: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعلي ابن الحسين، والحسن، وأبي

(١) معجم ابن الأعرابي:٣/١٠٦٩/٢٣٠١. الأوسط للطبراني:٥/١٠٠/٤٧٨٨. وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا أبو الاحوص، تفرد به: أبو بكر بن أبي شيبة. وهو في مصنفه:٦/١٣٩/٣٠١٣٩. مجمع الزوائد للهيثمي:٧/٢٠/ وقال: شبيه المرفوع ورجاله رجال الصحيح.

(٢) فضائل القرآن لابن سلام:١/٣٦٧.

(٣) تفسير مقاتل:١/٣٥.

(٤) التحبير للسيوطي:١/٧١.

(٥) معاني القرآن للنحاس:١/٤٥. التفسير الوسيط للواحدي:١/٥١. التحرير والتنوير لابن عاشور:١/١٣٥.

العالية، وقتادة، وأبي ميسرة، وعطاء، وابن جبير، ومحمد بن يحيي بن حبان، وجعفر الصادق.(١)

وخالفهم فريق فقالوا: مدنية، وهم: مجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني، وسواد بن زياد، والزهري، وعبد الله بن عبيد بن عمير وهو مروي عن: أبي هريرة.(٢)

وقيل: أنها مكية مدنية: بمعنى أنها نزلت مرتين. (٣)

وقيل: أن نصفها نزل بمكة ونصفها نزل بالمدينة.(٤)

واستدل أصحاب القول الأول: بما صح في تفسير السبع المثاني بالفاتحة، وذلك من حديث: أبي بن كعب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أعلمك سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: لعلك أن لا تخرج من ذلك الباب حتى أحدثك بها؛ فقمت معه فجعل يحدثني، ويدي في يده، فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج من قبل أن يخبرني بها، فلما دنوت من الباب؛ قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتني؟ قال: كيف تبدأ إذا قمت إلى الصلاة؟ قال: فقرأت فاتحة الكتاب، فقال: هي، هي، وهي السبع المثاني الذي قال الله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧] هو الذي أوتيته.(٥)

---

(١) زد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:١/١٠. البحر المحيط لأبي حيان:١/١٢٥. تفسير ابن كثير:١/١٠١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:١/١٠. البحر المحيط لأبي حيان:١/١٢٦. تفسير ابن كثير:١/١٠١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي:١/٩٠. الكشاف للزمخشري:١/١. البحر المحيط لأبي حيان:١/١٢٦. تفسير ابن كثير:١/١٠١.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي:١/٣٧.

(٥) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل قراءة الفاتحة مع بيان أنها السبع المثاني:١/٢٥٢/٥٠٠. سنن النسائي الكبرى. كتاب: التفسير. باب: قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول. :١٠/١٠٨/١١١٤١.

وعن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد؛ فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي؛ فقال: ألم يقل الله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال :٢٤] ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.(١) ، ووجه الدلالة أن الله -سبحانه وتعالى- امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بها، وسورة الحجر مكية اتفاقاً؛ فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها.(٢)

واستدل أصحاب القول الثاني: بما صح عن مجاهد من أنها نزلت بالمدينة. (٣)

والترجيح: ما اختاره الإمام السيوطي، من كونها مكية؛ لقوة الاستدلال بالخبر الصحيح، وصحة ذهابه إلى إعلال رواية أبي الأحوص(٤)؛ فالحديث مداره على منصور بن المعتمر، وقد اختلف عليه؛ فرواه: أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي الأحوص، عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة.(٥)

(١) صحيح البخاري. كتاب: تفسير القرآن. باب: ما جاء في فاتحة الكتاب :٦/١٧/٤٤٧٤. سنن أبي داود. كتاب: الصلاة. باب: فاتحة الكتاب:٢/٧١/١٤٥٨. سنن النسائي. كتاب: الافتتاح. باب: تأويل قوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]٢/١٣٩/٩١٣.

(٢) أسباب النزول للواحدي:١/٢٠. تفسير البغوي:١/٤٩. المحرر الوجيز لابن عطية:١/٦٥. فتح الباري لابن حجر:٨/١٥٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة:١٥/٥١٣/٣٠٧٦٥. أنساب الأشراف للبلازري:١/١٠٧/١٩٦. العظمة لابن أبي الشيخ:٥/١٦٧٩. البيان في عد آي القرآن للداني:١/١٣٣.

(٤) العلل للدارقطني:٨/٢٣٥/١٥٤٢. تفسير ابن رجب الحنبلي:٢/٦١٤.

(٥) معجم ابن الأعرابي:٣/١٠٦٩/٢٣٠١. الأوسط للطبراني:٥/١٠٠/٤٧٨٨. وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا أبو الاحوص، تفرد به: أبو بكر بن أبي شيبة. وهو في مصنفه:٦/١٣٩/٣٠١٣٩. مجمع الزوائد للهيثمي:٧/٢٠/ وقال: رجاله رجال الصحيح.

وزاد أحمد بن يحيي البلاذري في روايته عن أبي بكر بن أبي شيبة: قال أبو الأحوص: ويقال إنها مدنية.(١)

ويرويه عن منصور، عن مجاهد غير أبي الأحوص: زائدة(٢)، وسفيان(٣)، وإسرائيل(٤)، وجرير(٥)، ومعن(٦)، كلهم عن منصور عن مجاهد من قوله.

وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكرة من مجاهد؛ لأنه تفرّد بها، والعلماء على خلافه.(٧)

وقال ابن ناصر الدين: لم ينفرد به، فقد روي عن أبي هريرة، وعطاء بن يسار، والزهري.(٨)

وقال ابن حجر: وأغرب بعض المتأخرين فنسب القول بذلك لأبي هريرة والزهري وعطاء بن يسار، وحكي أن بعضهم زعم أنها نزلت مرتين.(٩)، وليس على ذلك دليل قوي "ضابط" في المكي والمدني، وهو: خارج عن موضوع البحث؛ حكاه السيوطي وذكر الخلاف ولم يرجح..(١٠)

قال: روى البيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: ما كان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنزل بالمدينة، وما كان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فبمكة. (١١)

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري:١/١٠٧/١٩٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة:١٥/٥١٣/٣٠٧٦٥.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري:١/١٠٧/١٩٦.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري:١/١٠٧/١٩٦.

(٥) العظمة لابن أبي الشيخ:٥/١٦٧٩.

(٦) الكشف والبيان للثعلبي:١/٩٠.

(٧) جامع الآثار في السير ومولد المختار لابن ناصر الدين:٣/٨٩.

(٨) أسباب النزول للواحدي:١/٢٠. الكشف والبيان للثعلبي:١/٩٠.

(٩) فتح الباري لابن حجر:٨/١٥٩.

(١٠) التحبير للسيوطي:١/٧٢، والإتقان للسيوطي:١/١٠٦.

(١١) مسند البزار. مسند عبد الله بن مسعود:٤/٣٣٦/١٥٣١. دلائل النبوة للبيهقي. باب: ذكر السور التي نزلت بمكة، و التي نزلت بالمدينة:٧/١٤٤.

قال ابن عطية: هو في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صحيح، وأما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقد يأتي في المدني.

وقال ابن الحصار: قد اعتني المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وعلى أن الحج مكية وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقد روى أبو عبيد هذا عن علقمة مرسلا. (١)

وروي عن علي بن معبد عن أبي مليح عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يا بني آدم﴾ فإنه مكي، وما كان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه مدني. (٢)

وقال البيهقي في الدلائل: من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة. وسيأتي عن عائشة نحوه. (٣)

فرع: من المكي والمدني

في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها. (٤)

قال الحصار: كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة..، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل.

قال السيوطي: وها أنا أذكر منه أمثلة حررتها بعد الفحص الشديد....

النموذج الثاني: سورة الكوثر:

اختلفت أقوال العلماء في عد سورة الكوثر على قولين هما:

الأول: أنها مكية، والثاني: أنها مدنية.

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد:١/٣٦٧. مصنف ابن أبي شيبة:١٠/٥٢٢/٣٠٧٦٨.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد:١/٣٦٧.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي:٧/١٤٤.

(٤) التحبير للسيوطي:١/٧٣، والإتقان للسيوطي:١/٨٤.

قال السيوطي: المختار أنها مدنية؛ لحديث أنس؛ قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، قال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[سورة الكوثر]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك. زاد ابن حجر، في حديثه: بين أظهرنا في المسجد. وقال: ما أحدث بعدك. (١)

الدراسة والنقد:

وافق السيوطي في اختياره: أنها مدنية؛ في قول: ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومجاهد(٢)، وقتادة.(٣) واختاره: ابن كثير.(٤) واختاره السيوطي في الإتقان.(٥) واستدلوا بحديث أنس السابق.

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة. باب: ذكر من قال: البسملة آية من كل سورة سوى براءة. ١/٣٠٠/٤٠٠.

(٢) تفسير مجاهد:١/٧٥٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي:٤/٤٩٧. رموز الكنوز للرسغي:١/٨١٥. تفسير القرطبي:٢٠/٢١٦. الخازن للزمخشري:٧/٣٠٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٨/٤٩٨.

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٨١.

وخالفهم فريق فقال: إنها مكية، وهم: ابن عباس[١]، ومقاتل[٢]، والكلبي[٣]، وجمهور المفسرين[٤]، وقيل: مكية إجماعاً. [٥]، واختاره في الدر المنثور.[٦]

واستدل جمهور المفسرين على أن سورة الكوثر "مكية"، بما روي عن ابن عباس، وغيره، من أن سورة الكوثر نزلت بمكة [٧]، وعضد قولهم: ما ورد في أسباب النزول، ومنه: ما روي عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك إنا أعطيناك الكوثر إلى آخر السورة.[٨]

وعن مجاهد، في قوله: إن شانئك هو الأبتر قال: نزلت في العاص بن وائل، وذلك أنه قال: إني شانئ محمد؛ فقال الله تعالى: من شنأه من الناس كلهم فهو الأبتر.[٩]

---

(١) مسائل نافع بن الأزرق:٢٥٣/١. زاد المسير لابن الجوزي:٧٩٧/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٨١٧/٤.

(٣) تفسير عبد الرزاق:٤٠٢/٢. تفسير القرطبي: ٢١٦/٢٠.

(٤) جامع البيان للطبري:٦٧٩/٢٤. معاني القرآن للزجاج:٣٦٩/٥. بحر العلوم للسمرقندي:٦٠١/٣. الناسخ والمنسوخ للمقرئ:٢٠٦/١. الكشف والبيان للثعلبي:٣٠٧/١٠. الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب:٨٤٦٧/١٢. البيان في عد آي القرآن للداني:٢٩٢/١. الناسخ و المنسوخ لابن حزم:٦٧/١. التفسير الوسيط للواحدي:٥٩٠/٤. تفسير السمعاني:٢٩٠/٦. مختصر التبيين لهجاء التنزيل:١٣٢٥/٥. تفسير البغوي:٥٥٤/٨. الكشاف للزمخشري:٨٠٦/٤. المحرر الوجيز لابن عطية:٥٢٩/٥. زاد المسير لابن الجوزي:٤٩٧/٤. مفاتيح الغيب للرازي:٣٠٧/٣٢. رموز الكنوز للرسعني:٨١٥/١. تفسير القرطبي:٢١٦/٢٠.

(٥) مصاعد النظر للبقاعي:٢٥٥/٣. النشر في القراءات العشر لابن الجزري:١٩٦/١. وهذا غير مسلم له، من المفسرين من قال إنها مدنية.

(٦) الدر المنثور للسيوطي:٦٩٤/١٥.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي:١٤٢/٧.

(٨) سيرة ابن إسحاق:٢٢٩/٥ مرسلة، البعث والنشور للبيهقي:١٢٦/١١٥/١.

(٩) دلائل النبوة للبيهقي. باب: ما جاء في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة:٧٠/٢.

وعن عكرمة، قال: لما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالت قريش: بتر محمد منا فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[سورة الكوثر].، أي: الذي رماك به هو الأبتر.(١)

وما روى عن ابن عباس أنه قال: لما قدم ابن الأشرف "مكة"، قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة، وسيدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصبي الأبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؛ قال: أنتم خير منه؛ فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[سورة الكوثر].(٢) قال السهيلي: ويلزم على هذا القول أن تكون سورة الكوثر مدنية.(٣)

الترجيح: ما اختاره جمهور المفسرين، ليس أرجح مما اختاره الإمام السيوطي، ذلك أن الآثار قد اختلفت، وعليها تعارضت الأقوال، وهذا الاختلاف في الروايتين يقتضي كلا الأمرين، ومن هنا استشكل قول الجمهور الذي أوشك أن يكون إجماعاً أنها "مكية"؛ قال البقاعي: هو عجيب؛ فإن حديث الصحيحين عن أنس – رضي الله عنه – يدل على أنها مدنية؛ لقوله: "بين أظهرنا في المسجد"، وقال الخازن: هو الأظهر.(٤) وهو ما اختاره السيوطي، ومن قبله ابن كثير، واعتمده ابن حجر(٥)، ويعضد قولهم: رواية ابن عباس في سبب نزولها والتي فيها؛ لما قدم ابن الأشرف "مكة"، قالت له قريش: أنت حبر أهل المدينة، وسيدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصبي الأبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل

(١) مصنف ابن أبي شيبة:١٦/٥٠٩/٣٢٤٥٦ مرسل رجاله ثقات.

(٢) أخبار المدينة لابن شبة:٢/٤٥٣. رجال كلهم ثقات، على شرط الشيخين. السنن الكبرى للسنائي: كتاب التفسير، باب: سورة الكوثر١٠/٣٤٧/١١٦٤٣. تفسير ابن جرير:٧/١٤٢. صحيح ابن حبان:١٤/٥٣٤/٦٥٧٢. إسناده صحيح على شرط الصحيح، وابن عدي هو محمد بن إبراهيم.

(٣) الروض الأنف للسهيلي:٣/٤٠٢.

(٤) لباب التأويل للخازن:٤/٤٨٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر:٩/٤١.

السدانة وأهل السقاية؛ قال: أنتم خير منه؛ فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[سورة الكوثر] وإنما ذهب كعب إلى مكة بعد وقعة "بدر" حينما ذهب فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم.(١)

النموذج الثالث: المعوذتان:

اختلف العلماء في المعوذتين، على قولين، أحدهما: أنهما مدنيتان، والثاني: مكيتان.

قال السيوطي: والمختار أنهما مدنيتان.(٢)

ولم يذكر دليلاً في التحبير ولا سبباً للترجيح.

الدراسة والنقد:

وافق السيوطي في اختياره في أنهما مدنيتان: الثعلبي(٣)، ومكي بن أبي طالب(٤)، والبغوي(٥)، وابن الجوزي(٦)، والخازن وغيرهم، وقالوا: هو الأرجح، وحكاه أبو حيان في البحر المحيط.(٧)، وقال الألوسي: هو الصحيح، لأن سبب نزولها سحر اليهود بالمدينة كما جاء في الصحاح، فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية، وكذا الكلام في سورة الناس. (٨)

والحديث في دلائل النبوة للبيهقي: من طريق محمد بن السائب "الكلبي" عن أبي صالح عن ابن عباس قال: مرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرضاً شديداً فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، وآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما نرى؟ قال طب. قال وما

(١) سيرة ابن إسحاق:٢٩٧/٣. الروض الأنف للسهيلي:٤٠٢/٣.
(٢) التحبير للسيوطي:٧٠/١.
(٣) الكشف والبيان للثعلبي:٣٢٧/١٠ز
(٤) تفسير البغوي:٥٩١/٨.
(٥) زاد المسير لابن الجوزي:٢٧٠/٩.
(٦) لباب التأويل للخازن:٤٩٩/٤.
(٧) البحر المحيط لأبي حيان:٥٣٢/٨.
(٨) روح المعاني للألوسي:٥١٧/١٥. الذي في الصحاح ليس فيه ذكر المعوذتين.

طب؟ قال: سحر. قال: وما سحر؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في كرية؛ فأتوا الركية فانزحوا ماءها، ثم رفعوا الصخرة، ثم خذوا الكرية وأحرقوها؛ فلما أصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعث عمار في نفر فأتوا الركية وأحرقوها؛ فإذا فيها وتر فيه أحدى عشرة عقدة، ونزلت عليه "هاتان السورتان"؛ فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١]

قال البيهقي: الاعتماد على الحديث الأول (١)، أي حديث الصحاح الذي لم يذكر فيه المعوذتين؛ فالكلبي ضعيف، بل اتهم بالكذب.(٢)

قال السيوطي: لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول "السورتين"، وله شاهد بنزولهما أخرج أبو نعيم في الدلائل، من طريق: أبي جعفر، عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت يهود لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً تريد شراً فأصابه من ذلك وجع شديد؛ فأتاه جبريل بالمعوذتين؛ فعوذه بهما، وقال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل عين ونفس حاسد الله يشفيك؛ فخرج إلى أصحابه صحيحاً (٣) وفيه أبو جعفر الرازي ضعيف.(٤)

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي:٦/٢٤٨.

(٢) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، متهم بالكذب، قال البخاري: تركه القطان وابن مهدي انظر: تهذيب الكمال للمزي:٢٥/٢٤٧.

(٣) الدعاء للطبراني:١/٣٣٥/١٠٩٥. نتائج الأفكار لابن حجر:٤/١٩٦. لباب النقول للسيوطي:١/٢٢٠.

(٤) عيسى بن أبي عيسى "عبد الله بن ماهان" المروزي، توفي سنة:١٦٠ه صدوق سيء الحفظ، وقيل: صالح الحديث قال أحمد: ليس بالقوي، وعن يحيي بن معين، قال: يكتب حديثه، وأبو زرعة: شيخ يهم كثيرا. انظر: تهذيب الكمال للمزي:٢٣/٢١/٤٦٨٥٠. ميزان الاعتدال للذهبي:٣/٣١٩/٦٥٩٥. لسان الميزان لابن حجر:٩/٣٨٩.

وخالفهم: الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ورواية كريب عن ابن عباس[١]، وابن أبي زمنين[٢]، والواحدي[٣]، والجرجاني[٤]، والدمياطي[٥]، وابن عاشور؛ قال: والأصح أنها مكية؛ لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم فيه، وليس في الصحاح أنها نزلت بهذا السبب؛ فبطل ترجيح أصاحب القول الأول: أنها نزلت بالمدنية. [٦] إذ الخلاف على صحة الروايات ينبي عليه الاختلاف في العدً.

المطلب الثاني: أسباب النزول

قال السيوطي: النوع: الثاني عشر "أول ما نزل"

اختلف العلماء في أول ما نزل من القرآن على أقول؛ منها: اقرأ، وقيل: المدثر، وقيل: الفاتحة.

وقال السيوطي: فالأصح إنها: أقراء باسم ربك. [٧]

واستدل بما يأتي:

- ما أخرج ابن الضريس عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١]. [٨]
- وبحديث عائشة، أنها قالت: أول ما نزل من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١].[٩]

(١) النكت والعيون للماوردي:٣٧٣/٦. البحر المحيط لأبي حيان:٥٣٢/٨.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين:١٧٥/٥
(٣) التفسير الوسيط للواحدي:٥٧٢/٤.
(٤) درج الدرر للجرجاني:١٧٨١/٤.
(٥) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي:٦٠٨/١.
(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور:٦٢٤/٣٠.
(٧) التحبير للسيوطي:١٢٦/١، والإتقان للسيوطي:١٥٨/١.
(٨) فضائل القرآن لابن الضريس:١٧/٣٣/١. الدر المنثور للسيوطي:٦١٧/١٤.
(٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم:٢٨٧٣/٢٤٠/٢.

– وبما روى أبو عبيد عن عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: إن أول ما نزل من القرآن اقرأ ونون، القلم. (١)

الدراسة والنقد:

وافق السيوطي في اختياره: ابن عباس(٢)، ومجاهد(٣)، وعطاء(٤)، والفراء(٥)، وأكثر المفسرين عليه.(٦)

واستدلوا: بحديث ابن عباس، ،حديث عائشة رضي الله عنهما. السابق ذكرهما.

وخالفهم: جابر بن عبد الله، ويحيي، وابن أبي زمينين(٧)

واستدلوا: بحديث يحيي بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قلت: يقولون:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت؛ قال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: جاورت بحراء؛ فلما قضيت جواري هبطت فنوديت؛ نظرت عن يميني فلم أر أشياء ونظرت عن شمالي فلم أر أشياء ونظرت أمامي فلم أر أشياء ونظرت خلفي فلم أر أشياء فرفعت رأسي؛ فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني، وصبوا علي ماء باردا قال: فنزلت:﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.(٨)

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد:٣٣٨/١.

(٢) المكتفى في الوقف والابتداء للداني:٢٣٧/١.

(٣) فضائل القرآن للقاسم بن سلام:٣٦٤/١. جامع البيان للطبري:٥٣١/٢٤.

(٤) أحكام القرآن للجصاص:٣٦٩/٥.

(٥) معاني القرآن للفراء:٣٨٣/٣.

(٦) بحر العلوم للسمرقندي:٥٧٣/٣.الكشف والبيان للثعلبي:٢٤٢/١٠. الهداية إلى بلوغ النهاية:٧٩/١. التفسير البسيط للواحدي:١٦٥/٢٤. تفسير البغوي:٤٧٤/٨. زاد المسير لابن الجوزي:١٧٥/٩. القرطبي:١١٧/٢٠. البحر المحيط لأبي حيان:٤٨٨/٨. تفسير ابن كثير:١٠٣/١.

(٧) تفسير القرآن لابن أبي زمنين:٥٤/٥.

(٨) صحيح البخاري. كتاب: التفسير. سورة المدثر:٤٩٢٤/١٦٢/٦. صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بدء الوحي:١٦١/١٤٤/١.

وخالفهم: أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل، فقال أول ما نزل:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، (١) كما ورد في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل، وفيه: ناداه يا محمد، قل:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة]حتى بلغ آخرها. (٢)

والراجح: ما ذهب إليه السيوطي، ولا إشكال في صحة الخبرين ما دام الجمع ممكناً، وذهب إلى الجمع: السمعاني وابن الجوزي، والزركشي، وابن تيمية، والبلقيني، وغيرهم؛ فقالوا: أنه لما نزل عليه اقرأ باسم ربك رجع فتدثر فنزل﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قال ابن الجوزي: ويدل عليه من حديث جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثثت منه رعبا، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ومعنى جثثت: فرقت. يقال: رجل مجؤوث ومجثوث، وقد صحفه بعض الرواة فقال: جبنت، من الجبن، والصحيح الأول.(٣)

وقال السمعاني: إن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن حين بدئ بالوحي، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحي، والله أعلم. (٤)

وأما القول بأن الفاتحة أو ما نزل؛ فدليله منقطع، وإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه أقرأ، والمدثر. (٥)

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان:٤٨٨/٨.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي:١٥٨/٢.

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي:١٧٥/٩. البرهان للزركشي:٢٠٦/١. مجموع الفتاوى لابن تيمية:٢٥٩/١٦. التحبير للسيوطي:١٢٩/١.

(٤) تفسير السمعاني:٨٧/٦.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي:١٥٩/٢. التحبير للسيوطي:١٢٩/١.

المطلب الثالث: المبهمات

قال السيوطي رحمه الله: النوع المائة: "المبهمات"

"المبهم من أسماء الأيام والليالي وسائر الأزمنة".

اختلف في ليلة القدر على نيف وأربعين قولاً.(١)

قال السيوطي: وأرجحها في مذهبنا أنها مختصة بالعشر الأخير، وأنها ليلة الحادي أو الثالث والعشرين، وعندي أنها لا تلتزم ليلة بعينها، وقد قاله جماعة ونقل عن نص الشافعي، واختاره النووي في شرح المهذب. (٢)

الدراسة والنقد:

أجمع العلماء على أن ليلة القدر في كل رمضان إلى يوم القيامة، واختلفوا في تعين الليلة على نيف وأربعون قولا منها:

الرأي الأول: أنها في العام كله.

الرأي الثاني: أنها في شهر رمضان دون سائر الشهور.

واختلف في أية أيامه تكون؛ فقيل: أنها ليلة سبع عشرة، أو ليلة إحدى عشرين، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو أنها في الأشفاع للأفراد الخمسة..(٣)

واختار السيوطي أنها لا تلتزم ليلة بعينها(٤)

وافق السيوطي في اختياره: كثير من العلماء(٥)، ومنهم ابن تيمية، فقالوا: لا نجزم لليلة بعينها أنها ليلة القدر على الإطلاق، بل هي مبهمة في العشر؛ كما دلت عليه النصوص. (٦)

---

(١) التحبير للسيوطي:١/٥٥٦. فتح القدير للشوكاني:٥/٦٧٠.

(٢) التحبير للسيوطي:١/٥٥٦. معترك الأقران للسيوطي:٢/٤٦٨. وانظر: المجموع شرح المهذب:٦/٣٩٨.

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:٤/٤٣١ وما بعدها. طرح التثريب للعراقي:٤/١٥١ وما بعدها.

(٤) التحبير للسيوطي:١/٥٥٦. معترك الأقران للسيوطي:٢/٤٦٨. وانظر: المجموع شرح المهذب:٦/٣٩٨.

(٥) تفسير الثعلبي:١٠/٢٥٤. أحكام القرآن لابن العربي:٤/٤٣٤. طرح التثريب للعراقي:٤/١٥١. فتح الباري لابن حجر:٤/٢٦٦. شرح زروق على الرسالة:١/٤٧٨.

(٦) شرح العمدة لابن تيمية:٢/٦٩٧.

فهي تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى وهكذا وروى هذا القول ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي قلابة، وهو قول مالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيرهم، وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا يعرفه عنه، ولكن قال به من أصحابه المزني وابن خزيمة وهو المختار عند النووي وغيره واستحسنه الشيخ تقي الدين للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإنها اختلفت اختلافاً لا يمكن معه الجمع بينها إلا بذلك.(١)

وخالفهم: كثير أهل العلم فقالوا هي ليلة سبع وعشرين(٢)، وهو مذهب ابن عباس وأبيّ(٣)، وبلال، ومعاوية، وقال الشافعي: هي ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين. (٤)

والراجح: ما اختاره السيوطي؛ لورود الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان"(٥)، وهو قول الجمهور فهم على أنها لا تخرج عن العشر الأواخر من شهر رمضان. وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل كما يفهم من أحاديث هذا الباب وأرجاها أوتار العشر وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبد الله بن أنيس وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين. (٦)

(١) طرح التثريب للعراقي:١٥٨/٤.
(٢) تفسير السمعاني:٢٦١/٦.
(٣) السراج المنير للشربيني:٥٦٦/٤.
(٤) شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح:٢٥٧/٣.
(٥) متفق عليه رواه البخاري في كتاب: فضل ليلة القدر باب: تحري ليلة القدر:٢٠٢١/٤٧/٣. ومسلم، كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها:١١٦٥/٨٢٣/٢
(٦) فتح الباري لابن حجر:٢٦٦/٤. نيل الأوطار للشوكاني:٣٢٤/٤.

الخاتمة

أولًا: أهم النتائج

١- صحة نسبة الكتاب إلى مصنف -رحمه الله- وأهميته للدارسين في التفسير وعلوم القرآن؛ إذ حوى خلاصة أراء المتقدمين من العلماء في التفسير وعلوم القرآن وغيرها من العلوم، مثل: القراءات واللغة والحديث والبلاغة.

٢- يُعد الإمام السيوطي ظاهرة علمية ذا أثر في الوسط العلمي الإسلام يدل على ذلك كثرة مؤلفاته وتنوعها، ونفاسة محتواها، وغزارة مادتها.

٣- تنوع مصادر الإمام السيوطي التي استقى منها مادة كتابه مما جعله كتاباً عظيم القدر غزير المادة، ولا يخفى ما يظهره هذا التنوع والكثرة من دلالة على سعة علم مصنفه وشمول اطلاعه على كتب هذه الفنون المتنوعة.

٤- منهج السيوطي في ذكر الأقوال مسندة إلى قائلها ومعزوه إلى مصدرها تلك المصادر اندثر كثير منها وأصبح لا يعلم منه شيئا إلا ما نقله السيوطي مما ساعد على حفظ بعض نصوصها، وأقوال مصنفيها من الاندثار التام.

٥- تنوع أدلة السيوطي في ترجيح الأقوال بدلالة القرآن، أو بدلالة الحديث، أو بدلالة الأثر، أو بدلالة الإجماع، أو بدلالة اللغة، أو بدلالة السياق، أو بدلالة قول الجمهور، ونحو ذلك من الوجوه.

٦- كثيراً ما يورد الإمام السيوطي الأقوال المخالفة دون أن ينسبها لأحد، وفي هذا تجرد في الوصول إلى الحق بغض النظر عن أصحاب تلك الأقوال المخالفة

٧- كثيراً ما يدعم ردوده على الأقوال المخالفة بالأحاديث والآثار، وذلك بسب كثرة ما يحفظه منها، و يورد تلك الأحاديث والآثار ويعزوها لمصادرها، وقد يحكم عليها صحة أو ضعفاً .

٨- عدم التشنيع أو التهجم على أصحاب الأقوال المخالفة، وإنما ينتقد بأدب جم، وهذا يختلف عن معاملته لأقرانه حينما يدافع عن نفسه، فإن دفاعه يتسم بالقوة والصلابة.

٩- كثيراً ما يتبع الإمام السيوطي القول الذي يرجحه بالحجة والبرهان، وقليل ما يرجح بدون ذكر الدليل على ترجيحه.

١٠- ابتكار السيوطي جملة من أنواع علوم القرآن التي لم يسبق إليها، وتحريره لمسائل مبهمات لم يستوف الكلام عليها في غير مصنفه.

ثانيًا: التوصيات: هناك بعض التوصيات المهمة على النحو التالي:

١-الاهتمام بالتراث الإسلامي وذلك بتحقيقه، وإبراز ما فيه من علم ونفع للمسلمين.

٢-الاهتمام بكتب الإمام السيوطي رحمه الله تعالى لما لها من قيمة علمية عالية.

٣-الاهتمام بكتابي "التحبير" و "الإتقان" في علوم القرآن للإمام السيوطي وذلك بالبحث في مسائله، وغوامضه ليتمكن المسلمون من الاستفادة منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الكتب المصرية، طبعة سنة:١٣٩٤ه ١٩٧٤م
- أحكام القرآن لابن عربي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري، تحقيق: علي البجاوي، نشر إحياء التراث العربي، بيروت نسخة مصورة.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر:٢٠٠٢م
- الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن، محمد يوسف الشربجي، نشر دار المكتبي، الطبعة الأولى:١٤٢١ه ٢٠٠١م.
- الأموال لابن زنجويه حميد بن مخلد تحقيق: شاكر ذيب فياض، الناشر مركز الملك فيصل السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ه ١٩٨٦م
- الأموال للقاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر بيروت.
- أنساب الأشراف للبلازري أحمد بن يحيي بن جابر بن داود، تحقيق: رياض الزركلي، نشر دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة:١٤١٧ه ١٩٩٦م.
- بحر العلوم للسمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، تحقيق: محمود مطرحي، نشر دار الفكر بيروت
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر بيوت، الطبعة الأولى:١٤٢٠ه.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، نشر دار المعارف بيوت
- البرهان في علوم القرآن للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى:١٣٧١ه ١٩٥٧م.

- التحبير شرح التحرير للمرادي علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الدمشقي، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، وأخرون، نشر مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى:١٤٢١ه ٢٠٠٠م.
- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، نشر الدار التاريخ العربي بيروت، الطبعة الأولى:١٤٢٠ه ٢٠٠٠م.
- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٨ه.
- تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي محمد بن أحمد بن محمد، تحقيق: عبد الله الخالدي، نشر دار الأرقم بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٦ه.
- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، تحقيق: حسن عكاشة، نشر دار الفاروق الحديثة مصر، الطبعة الأولى:١٤٢٣ه ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار الباز، الرياض، الطبعة الثالثة:١٤١٩ه.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية:١٤٢٠ه ١٩٩٩م.
- تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" لمحمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني، نشر: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية سنة:١٣٨٤ه ١٩٦٤م.
- تقريب التهذيب لابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد سوريا، الطبعة الأولى:١٤٠٦ه.

- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: معيد الدين خان، نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند الطبعة الأولى:١٣٣٦ه نسخة مصورة
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٠ه ١٩٨٠م.
- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، نشر دار عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى:١٤١٠ه ١٩٩٠م.
- الثقات لابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، حققه: محمد معيد الدين خان، نشر دائرة المعارف العثمانية بالهند الطبعة الأولى:١٣٩٣ه ١٩٧٣م.
- جامع الآثار في السير ومولد المختار لابن ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد، تحقيق: أبو يعقوب نشأت كمال، نشر دار الفلاح، الطبعة الأولى:١٤٣١ه ٢٠١٠م.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري محمد بن جرير بن يزيد، تحقيق: عبد المحسن التركي، نشر دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى:١٤٢٢ه ٢٠٠١م.
- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول، والنحو للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، نشر دار الكتب العلمية.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء التراث العربية، القاهرة، الطبعة الأولى:١٣٨٧ه ١٩٦٧م.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن حسين البيهقي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى:١٤٠٥ه.

- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ــ تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ــ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ــ الطبعة الأولى:١٤٢٥ه ٢٠٠٠م
- روضة المحبين لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، نشر دار الكتب العلمية. بيروت، طبعة سنة:١٤٠٢ه ١٩٨٣م.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، نشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة:١٤٠٤ه.
- سنن ابن ماجه عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين، نشر المكتبة العصرية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، نشر دار الرسالة بيروت، الطبعة الثانية:١٤٠٥ه ١٩٨٥م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى:١٤٠٦ه ١٩٨٦م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي بيروت.
- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، إحياء التراث العربي بيروت
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي محمد بن عد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، نشر مكتبة الحياة بيروت
- طبقات المفسرين للداودي محمد بن علي بن أحمد، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة مصورة.

- طرح التثريب في شرح التقريب "تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد" للعراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، نسخة مصورة تصوير دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر العربي.
- العظمة لابن أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر، تحقيق: رضا الله بن محمد، نشر دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى:١٤٠٨ه.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، نشر الدار السلفية بالقاهرة، مع تعليقات عبد الله بن باز.
- فهرس الفهارس للكتاني محمد عبد الحي بن عبيد الكبير، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى:١٤٠٥ه ١٩٨٢م.
- قبر السيوطي وتحقيق موضعه لأحمد يتمور باشا، نشر المكتبة السلفية بمصر سنة:١٣٤٦ه.
- قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، نشر وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الأولى:١٤١٤ه ١٩٩٤م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي، تقديم مناع القطان، نشر دار القاسم، الطبعة الأولى:١٤١٧ه ١٩٩٦م.
- الكاشف للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق: محمد عوامة، نشر دار القبلة للثقافة الدينية، جدة، الطبعة الأولى:١٤١٣ه ١٩٩٢م.
- الكامل في القراءات العشر للهذلي يوسف بن علي بن جبارة بن محمد، تحقيق: جمال السيد رفاعي، نشر مؤسسة سما للتوزيع والنشر الطبعة الأولى:١٤٢٨ه ٢٠٠٧م.
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد بن علي بن محمد بن حامد الفاروقي، تحقيق: علي دحروج، وآخرون، نشر مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الأولى:١٩٩٦م.

- كشف الأستار عن زوائد مسند البزار نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٢٩٩ه ١٩٧٩م.
- الكليات للكفوي أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش نشر مؤسسة الرسالة بيروت.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٨ه ١٩٩٧م
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: أحمد عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، نشر دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة:١٤١٤ه.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، نشر دار الفكر بيروت سنة:١٤١٢ه
- مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن القاسم، طباعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف النبوي، المملكة العربية السعودية سنة:١٤١٦ه ١٩٩٥م.
- مختار الصحاح للرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الخامسة:١٤٢٠ه ١٩٩٩م.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم أبو عبد الله بن محمد بن حمدويه، تحقيق: عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى:١٤١١ه ١٩٩٠م.
- المستدرك على فهرس كتب السيوطي لمحمد خيري.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، نشر مؤسسة الرسالة بيروت:١٤٢١ه ٢٠٠١م.
- مصنف ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى:١٤٠٩ه
- معاني القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي، تحقيق: هدى محمود قراعة، نشر دار الخانجي، الطبعة الأولى:١٤١١ه ١٩٩٠م
- معاني القرآن للفراء: يحيي بن زياد بن عبد الله أبو زكريا، تحقيق: أحمد يوسف التجاني، وآخرون، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن للنحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر الجامعة الإسلامية، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى:١٤٠٩.
- معاني القرآن للنحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر الجامعة الإسلامية، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى:١٤٠٩.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر دار الكتب بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٨ه ١٩٨٨م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر دار الكتب بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٨ه ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى:١٤٠٨ه ١٩٨٨م.
- معجم ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر تحقيق: عبد المحسن إبراهيم السنة، الناشر دار ابن الجوزي الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨ه ١٩٩٧م

- المعجم الأوسط للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: طارق عوض الله، نشر دار الحرمين مصر، الطبعة الأولى.
- معجم المؤلفين لعمر رضا محمد راغب كحالة، نشر مكتبة المثنى بيروت. ودار إحياء التراث العربي. وطبعة الرسالة بيروت:١٩٨٥م.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، سنة:١٣٩٩ه ١٩٧٩م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني محمد عبد العظيم، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى:١٤١٥ه ١٩٩٥م.
- مواقع العلوم في مواقع النجوم للبلقيني جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، تحقيق: أنور محمود المرسي، نشر دار الصحابة طنطا، الطبعة الأولى:١٤٢٩ه ٢٠٠٧م
- الناسخ والمنسوخ لابن المقري هبة الله بن سلامة بن نصر، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى:١٤٠٤ه
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد، تحقيق: عبد الغفار سليمان، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى:١٤٠٦ه ١٩٨٦م.
- النور السافر في أخبار القرن العاشر للعيدروسي محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٥ه.
- هداية العارفين في أسماء المؤلفين لإسماعيل محمد باشا البغدادي، نشر وكالة المعارف باستنبول الطبعة الأولى:١٩٥١م.